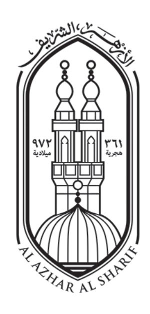
الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية



تيسير
شرح جوهرة التوحيد

للشيخ إبراهيم البيجوري ١٢٧٧هـ

للصف الثالث الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٣٨ - ١٤٣٩هـ
٢٠١٧ - ٢٠١٨م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول رب العالمين، محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين، وبعد:

فهذا هو الجزء الثالث من كتاب (تيسير شرح جوهرة التوحيد) للشيخ إبراهيم البيجوري المقرر على طلاب الصف الثالث الثانوي، وهو امتداد للجزء الثاني الذي تناول موضوعات تتعلق بأفعال العباد، والتوفيق والخذلان، والوعد والوعيد، والصلاح والأصلح، والقضاء والقدر، ورؤية الله تعالى، وحاجة البشر إلى الرسالة، والوحي وأنواعه، والرسل، والواجب في حقهم والمستحيل والجائز، والمعجزة، ومعجزات نبينا ﷺ، وكرامات الأولياء، واعتقادنا في الصحابة.

ويأتي هذا الجزء ليمكن الطالب من دراسة موضوعات تتعلق بالسمعيات كالملائكة، والجن والشياطين، والموت، وأجل المقتول، والروح، وسؤال القبر وعذابه ونعيمه، والبعث، والحساب، واليوم الآخر وما يتعلق به من شفاعة، وحسنات وسيئات، وتوبة، ووزن وميزان، وصراط، وحوض، وجنة ونار، والكليات الخمس، والإمامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد استهدف الكتاب تقريب وتيسير هذه الموضوعات إلى أذهان الطلاب بأسلوب مبسط، يتواءم مع الواقع المُعاش؛ رغبة في إعداد جيل قادر على التفكير والابتكار والنقد، ومواجهة تحديات الواقع الحاضر بحلول مناسبة.



وقد صيغت موضوعاته بطريقة تتيح للطالب أن يكون فعَّالًا داخل الصف، مشاركًا في نشاطات الدرس وتدريباته المتنوعة ـ بين مقالية وموضوعية ـ من أجل تنمية مهارات التفكير العليا، مثل القدرة على الاستنتاج والتلخيص والمقارنة والموازنة... وغيرها.

وقد اهتمت اللجنة التي قامت على إخراج هذا الكتاب بعدة منطلقات أساسية في إعداده نجملها فيما يلي:

١ـ تحديد أهداف عامة للكتاب تسهم في توضيح الرؤية فيما يتعلق بنوعية المحتوى الذي يحتاجه الطلاب، واختيار خبراته التعليمية من معارف ومهارات وطرق تفكير...

٢ـ الاهتمام بالمرحلة العمرية التي يمر بها الطلاب، وهي مرحلة تتطلب فهم المجردات بأسلوب مبسط.

٣ـ الاهتمام باللغة المستخدمة في الكتاب، حيث روعي في الصياغة تيسير ما غمض من عبارات الكتاب، من خلال اختيار جمل بسيطة ومفردات تقع في متناول الطالب.

٤ـ استبعاد ما لا صلة له بعلم التوحيد من تفريعات هي أقرب ما تكون إلى علوم أخرى كالفقه وعلوم اللغة وغيرها.

٥ـ استبعاد أبيات المنظومة التي لا تناسب الطلاب الذين أعدت لهم هذه الطبعة.

٦ـ إضافة عنوان لكل مبحث وعناوين أخرى فرعية تعين على فهم المادة العلمية، وتسهم في إثراء خبرات الطلاب، وزيادة رغبتهم في التعلم.

٧- الاهتمام بالتقويم بمعنى إتْباع كل درس بعدة اختبارات متنوعة - مقالية وموضوعية - من شأنها قياس ما حصَّله الطلاب من معارف ومعلومات وتعمل على زيادة فاعلية تحصيل المعلومات لديهم، على اعتبار أن التقويم له دور مهم في ذلك.

٨- استبعاد الهوامش والشروحات المضمنة بها.

وفي النهاية نسأل الله العلي القدير أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يفيد منه طلاب العلم. إنه نعم المجيب.

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

أهداف مقرر الصف الثالث الثانوي

يتوقع بعد دراسة هذا المقرر تحقيق ما يلي:

١ـ يوضح المقصود بالسمعيات وطرق إثباتها، معدِّدًا قضاياها.

٢ـ يتعرف طبيعة الملائكة، وأصنافهم، وصفاتهم، وحكم الإيمان بهم، مستدلًا بالنقل والعقل على ذلك.

٣ـ يفرق بين الجن والشياطين، موضحًا آراء العلماء في حقيقتهما، مستدلًا على ما يذكر.

٤ـ يذكر حقيقة الموت، موضِّحًا حكم الإيمان به.

٥ـ يوضح آراء أهل السنة والمعتزلة في أجل المقتول، مستدلًّا على ما يذكر.

٦ـ يبيِّن مذاهب العلماء في الروح، وعَجْب الذنب مستدلًّا على ما يذكر.

٧ـ يوضح حقيقة الروح وآراء العلماء في حدوثها، مستدلًّا على ما يذكر من آراء.

٨ـ يتعرف على المقصود بالحياة البرزخية وحقيقة عذاب القبر ونعيمه، مفندًا الشبهات المثارة حول عذاب القبر، مستدلًّا على ما يذكر.

٩ـ يتعرف على حقيقة البعث والحساب والحشر، موضِّحًا أنواع الحشر، وما يرتبط بها من أحكام.

١٠ـ يحدِّد المقصود باليوم الآخر، معدِّدًا أسماءه، ذاكِرًا المراد بهول الموقف، معدِّدًا أهوال يوم القيامة.

١١ـ يذكر حكم الإيمان باليوم الآخر، وحكم منكره، موضحًا علاماته الصغرى والكبرى.

١٢ـ يتعرف على المقصود بالشفاعة، معدِّدًا أنواعها، مفندًا الشبهات المثارة حولها.

١٣ـ يحدد المقصود بالحسنات والسيئات، ذاكِرًا مراتب تضعيف الحسنات.

١٤ـ يوضح المقصود بالتوبة وشروطها وحكمها، موضحًا مواطن صحة التوبة بالنسبة للكافر، وحكم من عاد إلى الذنب بعد التوبة.

١٥ـ يصنف أنواع الذنوب، موضحًا مكفراتها.

١٦ـ يتعرف على المقصود بالكبائر، موضحًا أقوال العلماء في مرتكبها، ودليل كل رأي.

١٧ـ يذكر المقصود بصحائف الأعمال، موضحًا طريقة أخذ هذه الصحائف، وحكم الإيمان بثبوتها.

١٨ـ يحدد معنى الوزن والميزان، والصراط، والحوض، والعرش، والكرسي، والقلم، والكاتبين، واللوح المحفوظ، والجنة والنار، وما يرتبط بها من أحكام، مدلِّلًا على ما يذكر.

١٩ـ يتعرف على المقصود بالمحافظة على الكليات الخمس، راغبًا في المحافظة عليها.

٢٠ـ يوضح المقصود بالإمامة، محدِّدًا شروط الإمام، موضحًا الأحكام المتعلقة بها.

٢١ـ يتعرف على المقصود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودليل وجوبها، وشروطها، موضحًا كيفية التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

السمعيات

هذا هو القسم الثالث من أقسام علم التوحيد الثلاثة: (الإلهيات ـ النبوات ـ السمعيات) وقد تسمى الغيبيات أيضًا، وسُمِّيت بالسمعيات؛ لأنه لا طريق لمعرفتها إلا الكتاب والسنة والأصل في وصولها إلينا السماع فقط، فلا دخل للعقل في الوصول إلى ما يذكر في هذا القسم، ويجب الإيمان به كالملائكة والجن والأرواح واليوم الآخر والجنة والنار، أما تسميتها بالغيبيات فلأنها أمور غائبة عنّا، ولا نستطيع أن نصل للعلم بها عن طريق علومنا المكتسبة.

وقد يقصد بالغيب كل ما كان غائبًا عن الحسّ، وعلى ذلك يدخل فيه الإيمان بوجود الله ـ تعالى ـ، والإيمان بالملائكة، والجن، وقد استعمل القرآن لفظ الغيب في هذا المعنى.

وعليه فإنَّ الغيب أعمُّ من السمعيات؛ لأن من الغيب ما يلي:

١ـ ما دلَّ عليه السمع، وهو ما يسمى بالسمعيات.

٢ـ غيبٌ أشار إليه السمع، ويطالب الإنسان باستخدام العقل للنظر فيه؛ حتى يتعرف عليه كإثبات ذات الله ـ تعالى ـ.

٣ـ غيبٌ وضع الله عز وجل أسبابه في الأرض، وطالب العقلاء أن يبحثوا عنها، كالاكتشافات العلمية.

٤ـ غيب زماني من أخبار الأمم السابقة فعل ما كان في الماضي البعيد أو المستقبل الذي لم يصل إليه الإنسان بعد.

٥ـ غيب مكاني فعل ما أخبر الله عن وقوعه في الأرض أو السماء مما لم يصل إليه الإنسان.



٦- غيب بقي في علم الله وسرٌّ من أسراره لا يعلمه أحدٌ إلا هو، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾[1].

إذًا فالسمعيات أخصُّ من الغيبيات، ويصحُّ القول إن كلَّ أمرٍ سمعي غيبٌ، و ليس كلُّ غيبٍ أمرًا سمعيًّا.

والسمعيات لا سبيل إلى العلم بها إلا النص الصحيح قرآنًا كان أو سنة، ولا مجال للاجتهاد فيها إلا في دائرة تحقيق النص وفهمه الفهم السوي في إطار ضوابط الفكر والاستدلال.

قضايا السمعيات:

جعلها الإمامُ الغزاليُّ عشرة أمور هي: إثباتُ الحشرِ، والنشرُ، وسؤالُ منكر ونكير، وعذابُ القبر، والميزانُ والصراطُ، وخلقُ الجنةِ والنارِ، وأحكامُ الإمامة، وأَنَّ أفضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة، وشروطُ الإمامة.

***

(١) سورة الأنعام. الآية: ٥٩.

المناقشة

١ـ عرف السمعيات، وما حكم الإيمان بها؟

٢ـ الغيب أعم من السمعيات، وضح ذلك.

٣ـ أكمل:

ـ سميت السمعيات بذلك؛ لأنها.................

ـ سميت الغيبيات بذلك؛ لأنها.................

ـ القضايا السمعية عشرة، هي: ....، ....، .... ، ....،
.........، ....، ....، ....، ....، ....

***

(١)

الملائكة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦١- بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وُكِّلُوا ** وَكَاتِبُونَ خِيرَةً لَنْ يُهْمِلُوا

٦٢- مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا فَعَلْ وَلَوْ ذَهِلْ ** حَتَّى الأَنِينَ فِي الْمَرَضْ كَمَا نُقِلْ

٦٣- فَحَاسِبِ النَّفْسَ وقَلل الأَمَلا ** فَرُبَّ مَنْ جَدَّ لأَمْرٍ وَصَلا

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان:

يجب على كل مكلَّف شرعًا الإيمان بالملائكة، وذلك بأن يعتقد اعتقادًا جازمًا بأنهم موجودون، وبأنهم مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

الدليل على وجودهم ووجوب الإيمان بهم:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٢].

ويجب الإيمان بالملائكة الذين وردت أسماؤهم، أو أوصفاهم، أو أصنافهم على التفصيل تفصيلًا، وأمّا ما ورد ذكرهم إجمالًا فيكون الإيمان بهم إجمالًا.

---

(١) سورة البقرة. الآية: ٢٨٥.
(٢) سورة النساء. الآية: ١٣٦.

تعريف الملائكة:

والملائكة في اللغة: جمع مَلَك، وأصله مألك من الألوك ثم تصرفوا في لفظه فقالوا: ملأك، ثم نقلوا حركة الهمزة إلى اللام وحذفوا الهمزة، فقالوا: مَلَك جمعه: ملائك وملائكة، والألُوكة بمعنى الرسالة فكأن للملك رسالة يحملها لهذا سمي بهذا الاسم.

واصطلاحًا: هم أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة، شأنها الطاعة ومسكنها السماوات غالبًا، ومنهم من يسكن الأرض، وكان الرسل ـ عليهم السلام ـ يرونهم تارةً على صورتهم الحقيقية، وتارةً بأشكال أخرى.

عصمتهم، والدليل عليها:

الملائكة معصومون محفوظون من الذنب: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾(٢)؛ وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٣)، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾(٤).

(١) سورة التحريم . الآية: ٦.
(٢) سورة الأنبياء . الآية: ٢٠.
(٣) سورة النحل . الآيتان: ٤٩، ٥٠.
(٤) سورة الأنبياء . الآية: ٢٧.

الفرق بين عصمة الملائكة و عصمة الأنبياء:

الفرق بين عصمة الملائكة وعصمة الأنبياء أنّ الملائكة ليس عندهم نزوعٌ إلى المعصية؛ لعدم وجود الشهوة في تركيبهم، أما الأنبياء فعندهم القابلية للمعصية بفطرتهم، ولكن الله يحفظهم ويحول بينهم وبين المعصية؛ فالعصمة واجبة للأنبياء وللملائكة كما يقول صاحب الجوهرة: وعِصْمَةُ الباري لكلٍّ حَتِّمَا*

خلق الملائكة:

الملائكة من مخلوقات الله تعالى، خلقها من نور، كما قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتْ الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[1].

أصناف الملائكة:

ورد أَنَّ الملائكة أصنافٌ مختلفة حسب ما يوكل إليهم من أعمال، ومما أثبتته النصوص من أصناف الملائكة ما يلي:

الحافظون والكاتبون:

١ـ الحفظة: عهد الله إلى فريق من ملائكته أن يكونوا حفظة لخلقه يحفظونهم من المضار، وهؤلاء الحفظة لأفراد الإنس خاصة، وقيل: إن للجن حفظةً كذلك، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[2]، أي بأمر الله.

ـ ويقول رسول الله ﷺ : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[3].

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) سورة الرعد. الآية: ١١.
(٣) متفق عليه.

ويرى بعض العلماء أَنَّ الحُفّاظَ هم الكُتَّاب مستدلين بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1] فهي أوصاف لصنف واحد من الملائكة.

ويرى البعض: أن «الكاتبين» صنفٌ آخرُ، موصوف بالعلم ومعطوف بغير حرف على الصنف الأول وهم الحفظة، ويؤيد هذا الرأي القائل إن الحفظة غير الكتبة الآية الأولى التي بينت مهمة الحافظين.

كما يؤيده ما ورد من أَنَّ الحفظة لا يفارقون العبد أبدًا، أما الكتبة فإنهم يفارقونه عند ثلاث حالات: عند قضاء الحاجة، وعند الجماع، وعند الغسل، كما جاء ذلك في حديث النبي ﷺ «إياكم والتعري فإن معكم من لايفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوا منهم وأكرموهم»[2] ولا يمنع ذلك من الكتابة فقد يجعل الله لهم علامة على ما يصدر من العبد في هذه الحالات فيكتبونه، ولا يفارقونه في غير هذه الحالات الثلاث حتى ولو كان في بيته جرس، أو كلب، أو صورة، أما ما ورد في الحديث أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه جرس، أو كلب، أو صورة، فالمقصود ملائكة الرحمة.

أمّا عدد الحفظة: فقد ورد أنّ لكل فرد عشرةً بالليل ومثلَهم بالنهار، وقيل: عشرون، وقيل غير ذلك، وحِفْظ الله للعبد إنما هو من القضاء المعلّق أما القضاء المبرم، فلا بد من إنفاذه، فيتنحون عنه حتى يَنْفُذ.

٢ـ الكتبة: هنا فريق آخر من الملائكة وكَّلهم الله تعالى بكتابة كل ما يصدر عن العبد، والكتبة ملكان، كل منهما رقيب أي حافظ، وعتيد أي: حاضر، فليس

(١) سورة الانفطار . الآيات : ١٠ ـ ١٢.
(٢) أخرجه الترمذي.

اسم أحدهما رقيبًا والآخر عتيدًا كما يتوهم، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1]، ويكتبان كل شيء حتى الأنين الصادر منه في المرض، وهما لا يتغيران ما دام حيًّا، فإذا مات يقومان على قبره يسبحان ويكتبان ثوابه إلى يوم القيامة إن كان مؤمنًا، ويلعنانه إلى يوم القيامة إنْ كان كافرًا.

الحكمة من الكتابة:

ليست الكتابةُ لحاجة دعت إليها، فإنه ـ سبحانه ـ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإنما ليقيمَ الحجةَ على العبيد يوم يُعْطَى كلٌّ منهم كتابه فيقول: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[2] فلعلهم يستحيون من المعصية إذا علموا أنها ستكتب.

وقد ورد أن أحد الملكين عن يمين العبد، وهو مختص بكتابة الحسنات، والآخر عن يساره، وهو مختص بالسيئات، كما ورد أنّ الأول أمير على الثاني، فإذا فعل العبد حسنة بادر ملَك اليمين لكتابتها، وإذا فعل سيئة قال ملك اليسار: أأكتب؟ فيقول ملك اليمين: لا؛ لعله يستغفر، أو يتوب، فإذا مضت فترة ولم يتب قال: اكتب أراحنا الله منه، أما المباحات فقيل: تكتب وقيل: لا، والأصح الأول؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[3]، وهما يلازمان الشخص منذ كونه نطفة إلى أن يموت، وقيل: يتوارد عليه أربعةٌ، اثنان نهارًا واثنان ليلًا، يتعاقبون عند صلاة العصر وعند صلاة الصبح.

وهل الكتابة حقيقية؟، وهل هي على قِرطاس؟، وما آلتها؟ وما مدادها؟ وما لغتها؟، كل هذه أمورٌ غيبية لم يخبرْنا الرسول بتفاصيلها فنترك علمها لله تعالى.

---

(١) سورة ق . الآية : ١٨.
(٢) سورة الكهف . الآية : ٤٩.
(٣) سورة ق . الآية : ١٨.

ومن أصنافهم:

٣ـ حملة العرش: قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[١].

٤ـ و خزنة الجنة: قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[٢].

٥ـ وخزنة جهنم: قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٣].

٦ـ وملائكة الموت: قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٤].

صفاتهم:

للملائكة صفات كثيرة، منها:

١ـ العبودية لله ـ تعالى ـ ، قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة الحاقة . الآية : ١٧.
(٢) سورة الزمر . الآية : ٧٣.
(٣) سورة المدثر . الآيات : ٢٦ ـ ٣٠.
(٤) سورة الأنفال . الآية : ٥٠.
(٥) سورة الأنبياء . الآيات : ٢٦ـ٢٨.

٢ـ الالتزام بأوامر الله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

٣ـ القدرة على التشكل بأشكالٍ حسنةٍ، فقد ورد أنَّ جبريل أتى النبيَّ في صورة رجل شديدِ بياض الثياب، شديدِ سواد الشعر.

٤ـ لا يأكلون ولا يشربون؛ وإنما خلقوا للعبادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[2].

٥ـ ليسوا ذكورًا ولا إناثًا، ومن وصفهم بالذكورة فهو فاسق، ومن وصفهم بالأنوثة فهو كافر؛ لتكذيبه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[4].

٦ـ لم تُركَّب فيهم الشهوة، فلا تقع منهم معصية.

٧ـ هم جند الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[5].

حكم إنكار الملائكة:

دل على وجود الملائكة الكتاب والسنة والإجماع فمنكر وجودهم كافر.

(١) سورة التحريم. الآية: ٦.
(٢) سورة الذاريات. الآيات: ٢٦ـ٢٨.
(٣) سورة النجم. الآية: ٢٧.
(٤) سورة الزخرف. الآية: ١٩.
(٥) سورة المدثر. الآية: ٣١.

(٢)

الجن والشياطين

الجن والشياطين: عالَم من العوالم الغيبية لا يعلم حقيقتهم إلا الله تعالى دلّ على ثبوتهم الكتاب والسنة وإجماع العلماء.

والجنُّ والشياطينُ أُمَّةٌ عاقلةٌ مميِّزةٌ، أرسل إليهم رسول الله ﷺ، فهم مأمورون بالإيمان بالله ـ سبحانه ـ وتعالى وتوحيده، والإقرار بالعبودية له.

آراء العلماء في خلق الجن:

والجن من مخلوقات الله تناسلوا من إبليس، كما تناسل الإنس من آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء المؤمنُ والكافرُ، وهذا رأي الحسن البصري رضي الله عنه، وقد رُوِيَ عن ابن عباس أنّ نَسْل إبليس هم الشياطين، أما الجن فهم جنس آخر فَهُم ولدُ الجان، وهم كالإنس منهم المؤمن ومنهم الكافر[١].

والرأي الأول أقرب إلى الصواب، فقد ذكر الله ـ سبحانه ـ أنه خلق الجان من مارج من نار، وقال في حق إبليس إنه: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٢]، وقال على لسانه: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾[٣]، فالجن إذن مخلوقون من النار، وقد تحولوا إلى أجسام شفافة تستطيع التشكل بما تريد، وفيهم القدرة على رؤيتنا وليس فينا القدرة على رؤيتهم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[٤].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره بسند ضعيف.
(٢) سورة الكهف. الآية: ٥٠.
(٣) سورة الأعراف. الآية: ١٢.
(٤) سورة الأعراف. الآية: ٢٧.

دليل ثبوت الجن:

وقد ثبت وجود الجن بالقرآن والسنة، وسميت سورة كاملة باسمهم؛ ذكر فيها ـ سبحانه ـ استماعَ الجن إلى دعوة الإسلام، واهتداءَ فريقٍ منهم بذلك النور: قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[1]، وكان الجن يستمعون إلى القرآن كما يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[2].

وقد خاطبهم الله مع الإنس حيث يقول: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3] كما يقول ـ سبحانه ـ لكافريهم يوم القيامة مقيماً عليهم الحجة: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى﴾[4].

وقد أنكر وجودَ الجنِّ جماعةٌ من المتكلمين، وصرفوا الآيات عن ظاهرها، وقالوا: إن المقصود بالجن والشياطين أولئك الكفرة من الإنس، وهذا قول بَعيدٌ عن الحق فالقرآن صريح في وجود هذا العالم ـ الجن ـ وتكليفه كالإنس.

والسنة كذلك مليئة بهذا المعنى: وقد قابلهم عليه السلام وبلَّغهم الدعوة، واستمعوا إلى القرآن وآمنوا به، وقد أثنى عليهم ﷺ لما قرأ سورة «الرحمن» على الناس وسكتوا فقال: «إن الجنَّ كانوا أحسنَ منكم، ما قرأت عليهم: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا: ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب فلك الحمد»[5].

---

(١) سورة الجن. الآيتان: ١٤، ١٥.
(٢) سورة الأحقاف. الآية: ٢٩.
(٣) سورة الرحمن. الآيتان: ٣٣، ٣٤.
(٤) سورة الأنعام. الآية: ١٣٠.
(٥) أخرجه الترمذي.

الشياطين:

أما الشياطين فهم عصاة الجن وجنود إبليس، مهمتهم تزيين الشر للإنس والجن، وإبعادُهم عن الجَادَّة، وفيهم يقول عليه السلام: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[1]، ويدل على تكليفهم قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾[3].

وقد افترق العلماء في حقيقة الجن والشياطين إلى قولين:

الأول: أن الجن والشياطين حقيقتها متغايرة، فالجن أجسام هوائية لطيفة تتشكل بأشكال مختلفة وتظهر منها أفعال عجيبة منهم المؤمن المطيع ومنهم الكافر العاصي، أما الشياطين فهي أجسام نارية، مهمتها إلقاء النفس في الغواية والضلال.

الثاني: أن الجن والشياطين حقيقتها واحدة وهي أجسام نارية عاقلة قابلة للتشكل بأشكال حسنة أو قبيحة، غير أنّ الجنَّ يشمل المطيع والعاصي، أما الشيطان، فهو اسم العاصي المتمرد.

والحاصل: أنَّ وجودَ الجن والشياطين أمرٌ ثابتٌ بالقرآن والسنة، وأنهم خُلِقوا من نار، وأن حقيقتَهُا واحدةٌ، وأن لكلِّ إنسان قرينًا من الملائكة، وقرينًا من الشياطين، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه، وقرينه من الجن يأمره بالشر ويحثه عليه، والله أعلم.

(١) متفق عليه.
(٢) سورة الذاريات. الآية: ٥٦.
(٣) سورة الأنعام. الآية: ١٣٠.

المناقشة

١ـ عرف الملائكة لغة واصطلاحًا.

٢ـ ما حكم الإيمان بالملائكة، وما حكم منكر وجودهم؟ دلل على ما تذكر.

٣ـ كيف تفرق بين عصمة الملائكة وعصمة الأنبياء.

٤ـ عرف الجن لغة واصطلاحًا.

٥ـ قارن بين الملائكة والجن.

٦ـ أثبتت النصوص القرآنية والنبوية أصنافًا للملائكة، اذكرها.

٧ـ كيف تدلل على أن بعض الجن مسلمون؟

٨ـ هل هناك فرق بين الجن والشياطين؟ وضح ذلك.

❊ ❊ ❊

(٣)

الموت

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٤- وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْمَوْتِ ❊ وَيَقْبِضُ الرُّوحَ رَسُولُ الْمَوْتِ

الإيمان بالموت:

وقوع الموت حقيقة مشاهدة ملموسة وليس من الغيبيات في شيء.

فكيف يجب الإيمان بالموت؟ الإيمان بالموت الذي كُلِّفنا به شرعًا على وجهين:

الأول: أن نؤمن أَنَّ كل الخلق إلى فناء، ولا يبقى إلا الله ـ تعالى ـ، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1] .

والمخالفون في هذا هم الدهرية الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقولون: «إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع».

الثاني: أَنَّ سببَ الموتِ هو انتهاءُ آجالِنَا التي قدَّرها الله ـ تعالى ـ لنا.

والمخالفون في ذلك هم الطبيعيون الذين ينسبون الأشياء للطبيعة، فيفسرون الموت على أنه بسبب اختلال نظام الطبيعة.

والله ـ تعالى ـ أخبرنا أَنَّ الموت يأتي إذا انتهى الأجل المكتوب في علم الله السابق، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2].

وأَنَّ الموت يكون عن طريق الملائكة التي تتولى إخراج الروح من الجسد، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[3]،

---

(١) سورة الرحمن. الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٢) سورة النحل. الآية: ٦١.
(٣) سورة السجدة. الآية: ١١.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[1].

وأن الموت سُنَّةُ الله في خلقه لا تتخلف عن أحد قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾[3]، والموت بهذا حقيقة مشاهدة محسوسة واقعة في حياة الناس.

حكم منكر الموت:

ومنكر الموت بهذه الصورة الشرعية المذكورة كافرٌ؛ لأنه ينكر ما هو مقطوع بثبوته في القرآن والسنة.

تكوين الإنسان:

الإنسانُ مكوَّنٌ من روحٍ وجسدٍ، والجسدُ من عالم الشهادة، يخضع للمعرفة الإنسانية في إدراكه، وفي الحفاظ عليه ووقايته من الأمراض، وعلاجه إذا تعرَّض لمرض.

* * *

(١) سورة الأنعام. الآية: ٦١.
(٢) سورة الزمر. الآية: ٣٠.
(٣) سورة الأنبياء. الأيتان: ٣٤، ٣٥.

(٤)

أجل المقتول

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٥ـ وَمَيِّـتٌ بِعُمْـرِهِ مَـنْ يُقْتَـلُ ✽ وَغَـيْرُ هـذَا بَاطِـلٌ لاَ يُقْبَـلُ

تمهيد

يجب الإيمان بأن الإنسان وسائر الحيوانات والجن والملائكة لا يموت أحد منهم حتى يتم أجله الذي قدَّره الله له سواء مات حتف أنفه أم مات مقتولًا بأي سبب من أسباب القتل كمن يقتله غيره.

المقتول وبيان الخلاف في أجله:

أوّلًا: مذهب أهل السنة أنَّ للإنسان أجلًا واحدًا، لا يتأخر عنه ولا يتقدم، فالمقتول مات بأجله الذي حدده الله له، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١]، والآية تشمل الأمة الإنسانية وغيرها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ رُوحَ القُدسِ نَفَثَ في رُوعي أنه لن تَمُوتَ نفس حتى تستكمل رِزْقها وأَجَلَها»[٣].

فمن لم يمت بسبب القتل فإنه سيموت في الأجل الذي حدده الله له.

(١) سورة يونس. الآية: ٤٩.
(٢) سورة الأنعام. الآية: ٣٨.
(٣) أخرجه البزار في مسنده وصححه ابن حبان والحاكم.

فموته بالقتل معناه أنَّ عُمْرَهُ المحدد له قد انتهى.

وعقوبة القاتل على فعله وكسبه، ومخالفته لأمر الله ـ تعالى ـ في صيانة النفس، وعدم التعدي عليها.

ولا يعارض هذا قول رسول الله ﷺ: «من سرَّه أن يعظِّمَ اللهُ رزقه، وأن يمدَّ في أجله فَلْيصلْ رَحِمَه»[1].

فهذا محمول على واحد من أمرين:

١ـ أن يكون المرادُ بالمدِّ في العمر: البركة فيه؛ حيث يعمل فيه من الأعمال الصالحة الكبيرة العظيمة التي لا يستطيع غيره أن يعملها في أوقات طويلة.

٢ـ أَنَّ الزيادة الواردة في الحديث بالنسبة لما جاء في صحف الملائكة، وقد يعلق الله ـ تعالى ـ الزيادة في العمر على الطاعة إظهارًا لشأنها، وهو ـ سبحانه ـ يعلم أَنَّ العبد سيصل رحمه، أو لا يصلها، ولا بد لعلمه ـ تعالى ـ أن يتحقق، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2].

ثانيًا: مذهب المعتزلة:

للمعتزلة في أجل المقتول ثلاثة أقوال:

القول الأول: للكعبي من المعتزلة: وهو أن القتل فعل العبد القاتل، والموت فعل الله، فالمقتول ليس ميتًا واستدل على رأيه بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾[3]، ووجه الاستدلال عنده عطف القتل على الموت، والعطف يقتضي المغايرة، مما يدل على أَنَّ المقتول لم يمت، وأن هناك أجلين: أجل القتل وأجل الموت، فلو لم يقتل المقتول لعاش إلى أجل موته.

(١) متفق عليه.
(٢) سورة الرعد. الآية: ٣٩.
(٣) سورة آل عمران. الآية: ١٥٨.

ويجاب على هذا بأن معنى الآية: ﴿وَلَئِن مُّتُّم﴾ من غير سبب، ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ بأن متم بسبب.

ـ القول الثاني: لجمهور المعتزلة: وهو أَنَّ للمقتول أجلًا واحدًا، وهو أجل الموت، والقاتل قطع على المقتول أجله، فلو لم يقتله لعاش إلى أجله الذي حدده الله له.

القول الثالث: لأبي الهذيل العلاف ـ أحد أئمتهم ـ وهو أَنَّ المقتول له أجلٌ واحدٌ وهو الوقت الذي قتل فيه، فلو لم يقتل لمات في الوقت الذي قتل فيه، وهو في هذا يوافق أهلَ السنةِ.

المناقشة

١ـ ما معنى الإيمان بالموت؟، وما حكم الإيمان به؟.

٢ـ ما حكم منكر الموت؟ وما الدليل على فناء الخلق وبقاء الخالق؟

٣ـ للإنسان أجل واحد عند أهل السنة، فما رأي المعتزلة في ذلك؟.

٤ـ كيف تفسر طول العمر في قول النبي ﷺ في الحديث «من سره أن يعظم الله رزقه وأن يمدَّ في أجله فليصل رحمه»؟.

* * *



النفخ في الصور وما اختُلِف في فنائه

قال الناظم رحمه الله:

٦٦ـ وفي فنا النَّفسِ لدى النَّفْخِ اختُلِفْ ❊ واستظهرَ السُّبكي بقاها اللذْ عُرِفْ

٦٧ـ عَجْبُ الذَّنَبِ كالروحِ لكن صَحَّحَا ❊ الحُزْنيُّ للبلى ووضَّحا

٦٨ـ وكلُّ شيءٍ هالكٌ قد خصَّصُوا ❊ عُمُومَهُ فاطلبْ لِمَا قد لَخَّصُوا

اختلف العلماء في فناء النفس أي الروح عند نفخ (إسرافيل) في الصور النفخة الأولى:

١ـ فذهبت طائفة إلى الحكم بفنائها عند ذلك لظاهر قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[1].

٢ـ وذهبت طائفة أخرى إلى الحكم بعدم فنائها عند ذلك.

وأما قبل نفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى، فلا خلاف بين المسلمين في بقائها، وتسمى النفخة الأولى: نفخة الفناء، ولا يبقى عندها حَيٌّ إلا مات، إن لم يكن مات قبل ذلك، وإلا غُشِيَ عليه إن كان مات قبل ذلك، كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا مَن شاء الله من: الملائكة الأربعة الرؤساء[2]، والحور العين، وموسى عليه الصلاة والسلام، لأنه صُعِقَ في الدنيا مرة، فجُوزِيَ بها. فجميع الأنبياء بعد الموت تعود إليهم أرواحهم، ثم يُغشى عليهم عند النفخة الأولى إلا موسى لما حصل له في الدنيا.

ثم يَنفخ إسرافيلُ في الصور النفخة الثانية، وتُسمى: نفخة البعث، فيجمع الله الأرواح إلى أجسادها.

(١) سورة الرحمن. الآية: ٢٦.
(٢) هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

وبين النفختين أربعون عامًا على ما في الصحيحين.

واختار الإمام تقي الدين السُّبْكي ـ وهو القول المختار ـ بقاء الروح، لأن العلماء اتفقوا على بقائها بعد الموت لسؤالها في القبر، وتنعيمها، أو تعذيبها فيه، والأصل في كل باقٍ استمراره، حتى يظهر ما يصرف عنه.

فالدليل على بقائها: الاستصحاب، فتكون من المستثنى بقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[1].

عَجْبُ الذَّنب:

هو عظم صغير في آخر سلسلة ظهر الإنسان.

وقد اختُلف في فنائه كالروح:

١ـ فذهب الإمام إسماعيل بن يحيى المُزَني إلى أنه يبلى ويفنى تمسكًا بظاهر قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾[2] وفناء الكل يستلزم فناء الجزء.

٢ـ وذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يَبْلى للأحاديث الصحيحة، ومنها قوله ﷺ: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خُلِق، ومنه يُرَكَّب»[3].

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[4] فقد ذكر العلماء فيه أمرين:

١ـ أن العموم في الآية على غير الأمور التي وردت الأحاديث باستثنائها، كالروح، وعجب الذنب، وأجساد الأنبياء، والشهداء، والعرش، والكرسي، والجنة والنار، والحور العين، ونحو ذلك، فالآية من العام المخصوص.

٢ـ وقال محققو المتأخرين: ليس في الآية استثناء ولا تخصيص، فمعنى (هالك): قابل للهلاك، كما هو معنى: (فانٍ) أيضًا.

(١) سورة النمل. الآية: ٨٧.
(٢) سورة الرحمن. الآية: ٢٦.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.
(٤) سورة القصص. الآية: ٨٨.

المناقشة

١ـ ما اسم الملك الذي ينفخ في (الصور)؟، وكم عدد النفخات؟، وما الدليل من القرآن الكريم؟

٢ـ اختلف في فناء (الروح) اذكر المذاهب بأدلتها مع الترجيح.

٣ـ ما المقصود بعجب الذنب؟ وما المذاهب في بقائه أو فنائه؟ وأيها تختار؟

٤ـ كيف فهم العلماء قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾؟

* * *

(٥)
الرُّوح

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

٦٩ـ وَلَا تَخُضْ فِي الرُّوحِ إِذْ مَا وَرَدَا ** نَصٌّ مِنَ الشَّارِعِ لكِنْ وُجِدَا

٧٠ـ لِمَالِكٍ هِيْ صُورَةٌ كَالجَسَدِ ** فَحَسْبُكَ النَّصُّ بِهذَا السَّنَدِ

الروح من أمر الله ـ تعالى ـ لا يعلمها إلا خالقها، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[1].

وقد فهم بعض العلماء النهي عن البحث في الروح، وأنها من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فقال بعضهم: البحث فيها مكروه، ومنهم من قال بتحريمه، وهو الإمام الجنيد.

لكن الكثير من العلماء لم يمنع من البحث فيها، وقالوا: ليس في الآية ما يدل على المنع من البحث فيها، بل على العكس، فإن فيها ما يشير إلى الاستفادة من البحث فيها، وهو ما يشير إليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2].

واختلف العلماء المجيزون للبحث في الروح:

فمنهم من قال: إنها جسم له صورة وأعضاء، كالبدن، وهذا الرأي لبعض المالكية.

ويرى إمام الحرمين أنَّ الروح جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر، فهي سارية في جميع البدن.

(١) سورة الإسراء. الآية: ٨٥.
(٢) سورة الإسراء. الآية: ٨٥.

وذهب جماعة من الصوفية والمعتزلة إلى أنها ليست بجسم ولا عَرَض، بل هي جوهر مجرد يتعلق بالبدن تعلق تدبير.

وذهب «العِزُّ بنُ عبد السلام» إلى أن لكل فرد رُوحَيْنِ: روح اليقظة، وروح الحياة، فإذا خرجت روح اليقظة نام الإنسان، وإذا خرجت روح الحياة مات، ولا يعرف مقرّهما إلا الله ـ تعالى ـ وقد فهم هذا من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، وليس في الآية ما ينص على وجود روحين لكل إنسان، وإنما هي روح واحدة، وشُبِّه النوم بالموت لعدم التمييز.

ولم يرد نصٌّ شرعيٌّ يُحدِّد شكل الروح وحقيقتها، ولا يتوقف على العلم بحقيقتها إيمان أو عبادة، بل تركت معرفتها والبحث فيها للإنسان؛ ليستفيد من البحث فيها في شئون حياته، ولتكون آيةً على الإيمان بالله ـ تعالى ـ، كما هو الشأن في البحث في المخلوقات، وقد قال سبحانه: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[2].

حدوث الروح:

أجمع العلماء على حدوث الروح؛ لأنها من العالم، وهو حادث.

لكنهم اختلفوا فيما إذا كانت الروح مخلوقة قبل البدن أم البدن مخلوق قبلها.

فمنهم من ذهب إلى أن الروح مخلوقة قبل البدن.

واستدلوا بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا

(١) سورة الزمر. الآية: ٤٢.
(٢) سورة الذاريات. الآيتان: ٢٠، ٢١.

عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[1]، وقول رسول الله ﷺ: «الأرواح جنودٌ مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف»[2].

فالأرواح يوم أخذت من الظهور كان بعضها يتدابر، وبعضها يتقابل، فما تدابر منها تنافر واختلف، وما تقابل تعارف وائتلف، وذهب بعضهم ـ ومنهم الإمام أبو حامد الغزالي ـ إلى أن البدن خلق قبل الروح.

واستدلوا بقوله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلك، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ... »[3].

ففي قوله: «فينفخ فيه الروح» دليل على أنَّ الروح نفخت بعد تكوين الجسد.

والرأي الأول أرجح.

وأما استدلال الفريق الثاني بحديث نفخ الروح فمردود عليه بأن النفخ لا يفيد الخلق في وقت النفخ، ولكن قد ينفخ ما هو مخلوق من قبل.

وذهب أكثر أهل السنة إلى أن الأسلم عدم البحث في الروح؛ حتى لا تزلَّ العقول، فتثبت أمورًا منتفية، أو تنفي أمورًا ثابتة.

وهذا ما رجحه صاحب الجوهرة حيث قال:

وَلَا تَخُضْ فِي الرُّوحِ إِذْ مَا وَرَدَا ❊ نَصٌّ مِنَ الشَّارِعِ لكِنْ وُجِدَا

المناقشة

س: اشرح مبينًا مذاهب العلماء في جواز البحث في الروح.

---

(١) سورة الأعراف. الآية: ١٧٢.
(٢) متفق عليه.
(٣) الحديث [أخرجه البخاري].

(٦)

سؤال القبر وعذابه ونعيمه

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

٧١ـ سُـؤَالُنَا ثُـمَّ عَـذَابُ الْقَـبْرِ ** نَعِيمُـهُ وَاجِـبْ كَبَعْـثِ الحَـشْرِ

معنى القبر:

القبر هو كل مكان يضم جسد الميت؛ سواء أكان في بقعةٍ من الأرض، أم في جوفِ الأسماك، أم في قاع البحر، أم ذَرْي الجسد في الهواء، فالجو الذي تناثر فيه الجسدُ يعدُّ قبرًا له.

وإطلاق القبر على المكان من الأرض المعروف من قبيل الغالب.

الحياة البرزخية:

والإنسان يمرُّ بمرحلة فاصلة بين الحياة الدنيا التي يفارقها والحياة الآخرة التي ينتظرها، وهذه المرحلةُ الفاصلةُ هي البرزخ، والحياة فيها تُسَمَّى بالحياةِ البرزخية، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

وإذا كانت روحُ الإنسان متصلةً بجسده في الدنيا اتصالًا يتناسب مع الحياة الدنيوية التي يعيشها، فإنّ الروحَ تعود بعد موت الإنسان ومفارقته للدنيا؛ لتتصل اتصالًا يتناسب مع ما يلقاه في هذه الحياة البرزخية، مما أخبر به الوحي: من سؤال، أو نعيم، أو عذاب.

(١) سورة المؤمنون. الآية: ١٠٠.

وإذا كنا في الدنيا نشعر بآثار اتصال الروح بالجسد من غير أَنْ نرى ذلك الاتصال، أو نشعر به شعورًا حسيًّا مباشرًا فإنَّ اتصال الروح بالجسد بعد الموت لا سبيل لنا إلى إدراكه؛ فقد دخل الإنسان ـ بدخوله قبره ـ بدايةَ مراحلِ الجزاءِ التي لا يعرف أحدٌ شيئًا عنها إلا صاحبها.

سؤال القبر:

إذا فارق الإنسان الدنيا ودخل القبر أتاه ملكان: أحدهما منكر، والآخر نكير، فيعيدان روحه إلى جسده؛ لتعود له الحياة بالقدر الذي يفهم السؤال، ويجيب عنه، وبقدر ما يشعر بها يلاقيه في هذه المرحلة البرزخية مما ورد في الشرع.

الأدلة على سؤال القبر:

حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانِهِ فَيقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هذَا الرَّجُلِ (لِمُحَمَّدٍ ﷺ) فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»[1].

حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِله إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذلِكَ قَوْلُهُ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[2]»[3].

عمومُ سؤال القبر جميعَ المكلَّفين:

وسؤال القبر عام لجميع المكلفين مؤمِنهم وكافِرهم، الطائعين والعصاة؛ لأنه

(١) متفق عليه.
(٢) سورة إبراهيم . الآية: ٢٧.
(٣) أخرجه البخاري.

ليس هناك دليلٌ بتخصيصه بفريق دون آخر.

كيفية السؤال:

سؤال الملكين عن الأمور العامة، كما جاء في الأحاديث، فيُسْأَلُ الميت عن ربِّه، ودينه، والنبي الذي أرسل إليه.

الدليل على كيفية السؤال:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وفيه: «وَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله وَدِينِي الإِسْلاَمُ فَيَقُولاَنِ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَقُولاَنِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ من ربنا فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُهُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[١]»[٢].

وأمّا تفاصيلُ السؤالِ فيُسْأَلُ عنها المكلف يومَ القيامة.

عذاب القبر ونعيمه:

إذا فرغ الملكان من سؤال الميت بدأت نتائج إجابته عن سؤالهما، يلاقيها في حياته البرزخية، فمن ثبَّته الله ـ تعالى ـ في السؤال كان في نعيم القبر، ومن لم يُثَبَّت في السؤال كان في عذاب القبر إلى أن يلقى جزاءه يوم القيامة.

الأدلة على عذابِ القبرِ ونعيمه:

جاءت النصوص الكثيرة دالةً على عذاب القبر ونعيمه من القرآن الكريم،

---

(١) سورة إبراهيم . الآية: ٢٧.
(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

والسنة النبوية.

من القرآن الكريم:

قوله ـ تعالى ـ عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾[1].

ووجه دلالة الآية أنها عطفت إدخالهم النار على إغراقهم بالفاء، والعطف بالفاء يفيد الترتيب والتعقيب، بمعنى أنهم أدخلوا نارًا بعد إغراقهم.

وقوله ـ تعالى ـ عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[2].

ووجه الدلالة من الآية أنها تحدَّثت عن عرضهم على النار غُدوًّا وعشيًّا قبل يوم القيامة، ثم عطفت دخولهم أشدَّ العذاب يوم القيامة، والعطف يقتضي المغايرة، كما أن يوم القيامة لا غدوة فيه ولا عشي.

وهناك أدلةٌ أخرى من القرآن الكريم تفيد أنَّ المكلف يبدأ يتلقى بعض جزائه بمجرَّد إدباره عن الدنيا، بخروج روحه، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[3]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ  ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّـٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[4]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا

---

(١) سورة نوح. الآية: ٢٥.
(٢) سورة غافر. الآية: ٤٦.
(٣) سورة الأنعام. الآية: ٩٣.
(٤) سورة الأنفال. الآيتان: ٥٠، ٥١.

﴿تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾[1].

من السنة النبوية المطهَّرة:

كثرت الأحاديث الدالة على ثبوت نعيم القبر وعذابه حتَّى بلغت في مجموعها مبلغ التواتر المعنوي.

فكثيرًا ما كان النبي ﷺ: «يتعوَّذ من عذاب القبر».

وفي الصحيحين عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخر فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»[2].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»[3].

وقد أجمع السلف قبل ظهور المخالف على إثبات عذاب القبر، ولم يُعرف عنهم مخالفٌ في ذلك.

المنكرون لنعيم القبر وعذابه:

بدأ يظهر المنكرون لعذاب القبر ونعيمه بظهور البدع وأهل الأهواء قديمًا وحديثًا.

شبهات المنكرين:

لا يستند المنكرون لعذاب القبر ونعيمه إلى أدلة بل إلى شبهات تدفع بأدنى نظر، والسبب في إنكارهم أن عقولهم لم تتسع لما أثبته الله ورسوله؛ لذلك تشابهت

(١) سورة محمد. الآية: ٢٧.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب.



شبهاتهم في القديم والحديث.

فهم يقولون: إننا نرى الميت جثة هامدة، ولا نرى عليه آثار نعيم أو عذاب، ونرى المقتول مصلوبًا ولا أثر للعذاب والنعيم عليه، وكيف يجمع من ذُرِّي جسده في الهواء ليُنعَّم أو يُعذَّب؟!، إلى غير ذلك من الاستبعادات، التي هي من جنس استبعادات منكري البعث حيث قالوا: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ ﴾[1].

الجواب عن شبهات المنكرين:

ويكفي أن يعلم المنكرون أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور الممكنة عقلًا وليست بمستحيلة عقلًا، وقد أخبر بها القرآن والسنة، وأجمع عليها سلف الأمة قبل ظهور المخالف.

ولو كان مجردُ استبعادِ الشيء سببًا في إنكاره؛ لأنكرنا أمورًا كثيرة في حياتنا، وكم من أشياء كانت لغرابتها أشبه بالمستحيل، كوسائل الاتصال والنقل الحديثة فقد أصبحت من المألوفات.

وفي حياتنا ما يُقَرِّب لنا إمكانية عذاب القبر ونعيمه؛ فإن النائم بجوارنا قد يتألّم أو يتلذّذ ومن بجواره لا يشعر به، وقد كان النبي ﷺ يرى الملَك ويحاوره ولا يحس به من يجالسه من أصحابه.

والأمر داخل في حيز الممكنات وليس من قبيل المستحيلات غاية الأمر أن من الممكنات أمورًا لم نشاهدها ولم نتعود على تصورها وهضم كيفيتها فيتخيل الإنسان لأول وهلة أن الأمر مستحيل، فليس عسيرًا على الله ـ جل وعلا ـ أن يعكس الحياة مرة أخرى على ذرات الجسم سواء كانت مجتمعة في قبر، أو موزعة في فلاة، أو متفرقة في بطن سبع فيعي بذلك السؤال والجواب ويرى الملك ويكلمه والكيفية لا نعملها فحقائق ما بعد الموت متعلقة بنظام مختلف كل الاختلاف عن

(١) سورة ق. الآية: ٣.

نظام هذا العالم المرئي لنا.

المناقشة

١ـ ما المقصود بالقبر؟ وما المراد بالحياة البرزخية؟

٢ـ ما الدليل على سؤال القبر؟ وعن أي شيء يسأل الإنسان في قبره؟

٣ـ ما أدلة نعيم القبر وعذابه من القرآن الكريم، ومن السنة المطهرة؟

❊ ❊ ❊

(٧)

البعث والحساب

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ :

٧٢ـ وَقُلْ يُعَادُ الجِسْمُ بالتَّحْقِيقِ ❊ عَنْ عَدَمٍ وقِيلَ عَنْ تَفْرِيقِ

٧٣ـ مُحْضَين لَكِنْ ذَا الخِلافُ خُصَّا ❊ بالأَنْبِيَاءِ وَمَنْ عَلَيْهِم نَصَّا

٧٤ـ وَفِي إِعَادَةِ العَرَضْ قَوْلانِ ❊ وَرُجِّحَتْ إِعَادَةُ الأَعْيَانِ

٧٥ـ وَفِي الزَّمَنِ قَوْلانِ وَالْحِسَابُ ❊ حَقٌّ وما في حقِّه ارتيابُ

البعث عبارة عن: إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم، إما بعد جمع أجزائهم، وإما عن عدم محض أي: فناء محض، وذلك استعدادًا للحشر والحساب والجزاء وإما إلى جنة وإما إلى نار.

إمكانية البعث:

ولكن: هل البعث على هذا الحال أمر ممكن؟ نعم؛ لأن البعث لا يلزم من فرض وقوعه محال فهو أمر ممكن، وكل ممكن جائز الوقوع؛ إذن البعث جائز الوقوع، وأيضًا؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل إن الإعادة أهون في نظر العقلاء.

الأدلة على البعث: لقد ثبت البعث بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1]، وقال أيضًا:

(١) سورة المؤمنون. الآية: ١١٥.

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَنْ يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، وقال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ ﴾[2].

وبناءً على ما سبق فإن البعث سيقع فعلاً: قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ ﴾[3]، وقال أيضًا: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ ﴾[4].

ويأتي هنا سؤال آخر: هل الإعادة عن عدم محض، أو الإعادة عبارة عن جمع الأجزاء المفرقة؟ اختلف المتكلمون في هذه المسألة على رأيين:

أما الرأي الأول فيرى: أن الناس عندما يموتون تعدم أجسامهم وتفنى، بحيث لا يكون ثمَّة شيء ولا يكون هناك أي أثر للجسم، وهذا هو العدم المحض.

ويستدل أصحاب هذا الرأي ببعض الآيات القرآنية منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[5]، ومنها أيضًا: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ ﴾[6]، والفناء في الآية الأولى والهلاك في الآية الثانية بمعنى العدم.

أما الرأي الثاني فيرى: أنَّ الناس عندما يموتون تتفرق أجسامهم وتتحول هذه الأجسام إلى أجزاء مفرقة، وتخرج هذه الأجزاء وتتحول من مادة إلى مادة أخرى، وذلك مع الاحتفاظ بأساس المادة الأصلية التي يتكون منها الجسم.

---

(١) سورة ـ يس: الآيتان: ٧٨، ٧٩.
(٢) سورة الأنبياء. الآية: ١٠٤.
(٣) سورة يونس. الآية: ٥٣.
(٤) سورة التغابن. الآية: ٧.
(٥) سورة الرحمن. الآية: ٢٦.
(٦) سورة القصص. الآية: ٨٨.

ويستدل أصحاب هذا الرأي ببعض الآيات القرآنية منها قوله تعالى لسيدنا إبراهيم عندما سأله عن كيفية إحياء الموتى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[1]، ومنها أيضًا: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾[2].

وعلى كلا الرأيين لابد للمكلف أن يعتقد بالمعاد، ولا يلزم أن يعتقد بأحد الرأيين، وأن يعتقد أن المُعَاد هو الجسم الأول بعينه وليس مثيلًا له، وإلا لزم أن الجسم المُثاب أو المعذب ليس هو الجسم الذي أطاع وعصى.

والإعادة تشمل الأجسام أي الأجزاء الأصلية من الجسم كاليد والقدم، أما الأجزاء التي تزول مثل الشعر والأظافر فإنها لا تعود.

حكم إعادة الأعراض:

أما الأعراض فقد اختُلِف فيها: فقيل: تعود، وعلى هذا فهي تشمل الأعراض اللازمة فقط، مثل: الطول والعرض واللون، بخلاف الأعراض غير اللازمة مثل: الأصوات.

وقيل الإعادة لا تشمل الأعراض؛ لأنه يلزم عليها اجتماع المتنافيات كالطول والقصر، والكبر والصغر، ورُد عليهم: بأن إعادة العرض ليست دفعة واحدة بل على التدريج كما كانت في الدنيا، لكن يمر عليه جميع الأعراض كلمح البصر، والتفويض في مثل هذه الأمور أفضل، وكذا الأمر في إعادة الزمان.

وقد ورد أن الأرض لا تأكل أجسام الأنبياء ولا تَبلي أبدانهم، وكذلك بعض الصالحين والشهداء والعلماء، لا تبلى أبدانهم، فإعادتهم لا تكون عن تفريق أو عدم.

(١) سورة البقرة. الآية: ٢٦٠.
(٢) سورة القيامة. الآيتان: ٣، ٤.



الحشر:

هو سَوْق الناس جميعًا إلى الموقف الذي يحاسبون فيه بعد بعثهم من قبورهم، ومكان الموقف هو الأرض المبدلة كما يقول سبحانه: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[1].

أنواع الحشر أربعة: اثنان في الدنيا، واثنان في الآخرة.

الحشر الأول في الدنيا وهو: إخراج اليهود من جزيرة العرب، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ ﴾[2].

الحشر الثاني في الدنيا وهو: النار التي تخرج من عدن باليمن قرب قيام الساعة فتسوق الكفار إلى المحشر، فتكون معهم على جميع أحوالهم فتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا[3].

الحشر الثالث في الآخرة وهو: حشر الناس إلى الموقف.

الحشر الرابع في الآخرة وهو: صرف الناس من الموقف إلى الجنة أو النار.

هل الحشر لجميع المخلوقات أو لبعضهم؟

ذهب المحققون إلى أن كل من يحتاج إلى الفصل يُحْشر، ولا يختص الأمر بمن يحتاج إلى الجزاء، وعلى ذلك يحشر الإنس والجن والملائكة والحيوانات من بهائم ووحوشٍ.

ويؤيد هذا الرأي قوله عليه السلام: «حتى يقضي للشاة الجماء من الشاة القرناء»[4]، والحكمة من حشر البهائم إظهار كمال عدل الله تعالى.

---

(١) سورة إبراهيم. الآية: ٤٨.
(٢) سورة الحشر. الآية: ٢.
(٣) تقيل وقالوا: من القيلولة وهو الراحة وقت الظهر.
(٤) أخرجه مسلم.

وذهب البعض إلى أنه لا يحشر إلا من يُجازى فيكون الحشر مقصورًا على الثقلين: الإنس والجن.

مراتب الناس في الحشر:

ومراتب الناس في الحشر متفاوتةٌ، فمنهم الراكب ومنهم الزاحف على رجليه ومنهم الماشي على بطنه، وكلٌّ على حسب عمله.

وأول من تنشق الأرض عنه نبينا محمد ﷺ.

معنى الحساب:

الحساب لغة: العدد، واصطلاحًا: توقيف الله الناس على أعمالهم خيرًا كانت، أو شرًا، قولًا كانتْ، أو فعلًا، بعد أخذ كتبهم.

ويمكن أن يقال: هو اطلاع الله العباد على أعمالهم خيرًا كانت، أو شرًّا، قولًا كانت، أو فعلًا، أو اعتقادًا.

عموم الحساب:

ويكون الحساب لجميع المكلفين من إنس وجان مؤمنين وكافرين، إلاَّ مَنْ وردت السنة بدخولهم الجنة من غير حساب؛ تكريمًا لهم، ففي الحديث «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا ليس عليهم حساب، فقيل له هلا استزدت ربك، فقال: استزدته فزادني مع كل واحد من السبعين ألفًا سبعين ألفًا، فقيل هلا استزدت ربك؟ فقال: استزدته فزادني ثلاث حثيات بيده الكريمة»[1].

(١) أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب.

أحوال الناس في الحساب:

وإذا كان من المؤمنين من يدخل الجنة بغير حساب، فهناك من الكافرين من يدخل النار بغير حساب؛ لشدة الغضب عليهم ولعظم جرمهم.

فالناس تجاه الحساب ثلاثة أقسام: طائفة تدخل الجنة بغير حساب، وطائفة تدخل النار بغير حساب، وطائفة توقف للحساب، وبهذا يجمع بين النصوص الواردة في هذا الشأن.

وهنا مسألة خلافية: وهي كيف يُوقف اللهُ الناس على أعمالهم، أو كيف يحاسبهم؟

قيل يكلمهم الله ـ سبحانه ـ في شأن أعمالهم، وما لهم من ثواب، وما عليهم من عقاب وهذا ما تشهد له الأحاديث الصحيحة.

والكافر ينكر كفره، فيأمر الله جوارحه أن تشهد ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، بل ويشهد أيضًا سمعهم وأبصارهم وجلودهم.

ولا يشغله سبحانه محاسبة أحد بل يحاسب الجميع معًا، حتى يظن كل فرد أنه المحاسب وحده.

كيفية الحساب: من الحساب اليسير والعسير، ومنه السر والجهر، وقد يكون بالعدل، أو بالفضل، وذلك على حسب الأعمال.

حكمة الحساب: إظهار تفاوت المراتب في الكمال، وفضائح أهل النقص، وفي ذلك ترغيب للناس في الحسنات، وزجر عن السيئات.

(١) سورة النور. الآية: ٢٤.

والحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فمنكره كافر.

والأدلة عليه كثيرة: فمن القرآن يقول: سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[1]، ويقول أيضًا: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[2]، ومن السنة يقول ﷺ: «لتُؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجَلْحَاء[3] من الشاة القَرْنَاء»[4]، ويقول أيضًا: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيمَ عمل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[5]، والنصوص في هذا الباب كثيرة جدًّا.

❋ ❋ ❋

(١) سورة الانشقاق. الآيات: ٧ ـ ١٢.
(٢) سورة البقرة. الآية: ٢٨٤.
(٣) الجَلْحاء: التي لا قرن لها.
(٤) أخرجه مسلم.
(٥) أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح.

المناقشة

١ـ ما معنى البعث، وما الدليل عليه؟

٢ـ هل يبعث من مات في البحار غرقًا، أو في النار حرقًا؟ وما دليلك؟

٣ـ للحشر أنواع أربعة، اذكرها، وهل هو لجميع المخلوقات؟ وضح ذلك.

٤ـ ما المقصود بالحساب شرعًا؟ ولمن يكون؟ وما أنواع الخلق بالنسبة له؟

٥ـ اذكر الأدلة على الحساب من الكتاب والسنة مع بيان الحكمة منه.

❊ ❊ ❊

(٨)

اليوم الآخر

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٦ـ والْيَـومُ الآخِرْ ثُمَّ هَـوْلُ الْمَوْقِفِ ** حَقٌّ فَخَفِّفْ يَا رَحِيمُ واسْـعِفِ

اليوم الآخر هو يوم القيامة، وأوله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح، وقيل إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

وسمي باليوم الآخر؛ لأنه متصلٌ بآخر أيام الدنيا، وإن كان ليس منها، ويُسمَّى هذا اليوم بالقيامة أيضًا وذلك لقيام الناس فيه من قبورهم وقيام حجتهم عليهم.

وقد تعددت أسماء هذا اليوم؛ لكثرة ما فيه من أحداث، وأشهر هذه الأسماء: اليوم الآخر والقيامة والقارعة والحاقة.

المراد بهول الموقف: ما ينال الناس فيه من الشدائد لطول الوقوف، قيل: إنَّه كألف سنة مما تعدون قال ـ تعالى ـ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]، وقيل أيضًا إنه: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[2]، ولا تنافي بين الخبرين؛ لأن المقصود طول المدة، والعدد لا مفهوم له، أو أن اليوم يختلف باختلاف أحوال الناس، فيرى الكفار أنه كخمسين ألف، ويرى الفساق أنه كألف سنة، ويرى غيرهم أنه فترة يسيرة، حتى ليرى المؤمن أنه أخف من صلاة مكتوبة كما جاء في بعض الأخبار.

(١) سورة السجدة. الآية: ٥.
(٢) سورة المعارج. الآية: ٤.

هول الموقف:

وفى هذا اليوم يشتد الهول على الناس، وتقترب الشمس من الرؤوس ويغرق العصاة والكفار في عرقهم المنتن، فمنهم من يكون العَرقُ إلى كعبيه أو إلى ركبتيه أو إلى حقويه[1]، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، وقد أخبرنا ﷺ «أن الناس يحشرون في ذات اليوم حفاةً عراةً غُرْلًا»[2]، فعجبت عائشة وسألت: أينظر بعضهم إلى عورة بعض؟ فأجابها عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[3][4].

ومن الأهوال أيضًا سؤال الملائكة عن التفريط في الأعمال، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[5]، وكشهادة الألسنة والأرجل وغيرها، ولكن لا ينال شيءٌ مما ذُكِر الأنبياءَ والصالحين؛ قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[6].

واليوم الآخر حق لا مراءَ فيه، كما أقر بثبوته جميع الأديان.

الأدلة على اليوم الآخر: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[7]، ومن هذه الأدلة أيضًا: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[8]، ومنها ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾[9].

---

(١) إلى وسط جسده أي خصره.
(٢) غرلاً أي لخلقتهم وهم صغار قبل الختان.
(٣) سورة عبس. الآية: ٣٧.
(٤) متفق عليه.
(٥) سورة الصافات. الآية: ٢٤.
(٦) سورة الأنبياء. الآية: ١٠٣.
(٧) سورة لقمان. الآية: ٣٣.
(٨) سورة آل عمران. الآية: ١٠٦.
(٩) سورة هود. الآية: ١٠٥.

حكم الإيمان باليوم الآخر: الإيمانُ باليوم الآخر ركنٌ من الإيمان، فلا يُقْبَلُ الإيمانُ بدونه، وعلى ذلك فمنكره كافر.

علامات يوم القيامة:

علامات اليوم الآخر: علامات صُغْرى، وأُخْرى كبرى.

أولًا: الصغرى

أولها مبعث خاتم المرسلين ﷺ؛ حيث يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين، وضم بين السبابة والوسطى»[1].

ومنها ظهور المعاصي وانتشارها، وتطاول الحفاة العراة في البنيان كما جاء في حديث جبريل حينما سأل عن الساعة، فقال ﷺ: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكني أخبرك عن أشراطها... إلخ»[2].

ثانيًا: الكبرى

وهناك علامات كبرى قريبة: منها ما أخرجه مسلم عن حذيفة قال: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[3].

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) أخرجه مسلم.

المناقشة

١ـ ما اليوم الآخر؟ وما أشهر أسمائه؟

٢ـ اذكر بعض أهوال القيامة.

٣ـ ما حكم الإيمان باليوم الآخر؟ وما حكم منكره؟ مع ذكر الدليل.

٤ـ لليوم الآخر علامات صغرى وعلامات كبرى، وضح ذلك.

❊ ❊ ❊

(٩)

الشفاعة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٧ـ وَوَاجِبٌ شَفَاعَةُ الْمُشَفَّعِ ❊ مُحَمَّدٍ مُقَدَّمًا لا تَمْنَعِ

٧٨ـ وَغَيْرُهُ مِنْ مُرْتَضَى الأَخْيَارِ ❊ يَشْفَعُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الأَخْبَارِ

٧٩ـ إِذْ جَائِزٌ غُفْرَانُ غَيرِ الكُفْرِ ❊ فَلا تُكَفِّرْ مُؤْمِنًا بِالْوِزْرِ

تعريف الشفاعة:

الشفاعة لغةً: الوسيلة والطلب، واصطلاحًا: هي سؤال الخير من الغير، وقد تنسب الشفاعة إلى الله سبحانه، كما في قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[١] فيكون معناه قبول الشفاعة أو العفو، وله سبحانه أن يعفو عمن اعترف له بالوحدانية ولمحمد ـ عليه السلام ـ بالرسالة، ولم يعمل خيرًا قط، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٢].

أدلتها:

وقد ورد ذكر الشفاعة في القرآن الكريم في مواضعَ مختلفةٍ، يقول سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[٣]، ويقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[٤]، ويقول على لسان الكفار: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾[٥]

(١) سورة الزمر. الآية: ٤٤.
(٢) سورة النساء. الآية: ٤٨.
(٣) سورة طه. الآية: ١٠٩.
(٤) سورة البقرة. الآية: ٢٥٥.
(٥) سورة الأعراف. الآية: ٥٣.

شفاعة النبي ﷺ:

وهناك شفاعة: قد تنسب إلى نبينا ﷺ وتَخْتَصُّ به وهي الشفاعة العظمى.

وقد تكون الشفاعة له ولغيره من الأنبياء والصالحين، قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ دعوة قد دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي»، أخرجه الشيخان عن أنس رضي الله عنه، وذكر ﷺ «أنه أُعْطِي خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبله، ومنها الشفاعة»[1].

والشافع: هو طالب الخير من الغير للغير، والمُشَفَّع: مقبول الشفاعة، وأول من يشفع يوم القيامة نبينا ﷺ، فقد روى الشيخان أنه أول شافع ومشفع.

فقد اختص ﷺ بأمور ثلاثة: فهو أول شافع، وهو أول مُشفَّع، وشفاعتهُ أولُ شفاعةٍ مقبولة، وبذلك يَفْتَحُ بابَ الشفاعةِ لغيره من الأنبياء والصالحين، ولعل هذا هو المقام المحمود، الذي وعد ـ سبحانه ـ به نبيه في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[2]، أو هو أولُ المقامِ المحمود، وآخرُهُ استقرارُ أهلِ الجنَّة في الجنة وأهلِ النارِ في النار.

والشفاعة أنواع:

١ـ الشفاعة العظمى، لم ينكرها أحد من المسلمين.

٢ـ شفاعته عليه السلام في إدخال فريق الجنة بغير حساب.

٣ـ شفاعته في رفع درجات بعض المؤمنين، وقد يشفع لغيره عليه السلام في رفع الدرجات كذلك.

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الإسراء. الآية: ٧٩.

وهذه الشفاعات موضع اتفاق بين علماء الكلام.

٤ـ الشفاعة لمرتكب الكبيرة، الذي مات دون توبة بأن لا يدخل النار أصلًا، أو أن يخرج من النار بعد أن أُدْخِلَهَا.

وقد أثبت هذا النوع من الشفاعة أهلُ السنة.

أما المعتزلة فقد أنكروه حيث يرون وجوب تعذيب أهل الكبائر، كما أنكره الخوارج الذين يحكمون بالكفر على مرتكب الكبيرة ويوجبون تخليده في النار، والحق مع أهل السنة، فقولُ الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، صريح في إثبات هذا الرأي، فلم يُعَلّق سبحانه المغفرة على توبة، وإنما علقها على المشيئة، أما إذا تاب، فهناك وعد آخر بقبول التوبة، ووعد الكريم لا يتخلف، يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

شبهة وردها:

قيل: إن قوله سبحانه: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[3]، يدل على عدم وجود شفاعة يوم القيامة.

ورُدّ هذا الكلام بأن المقصود بهم الكفار، الذين اعترفوا بقولهم ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[4]، وكذلك قوله سبحانه على لسان الكفار يوم القيامة ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[5].

(١) سورة النساء. الآية: ٤٨.
(٢) سورة الشورى. الآية: ٢٥.
(٣) سورة المدثر. الآية: ٤٨.
(٤) سورة المدثر. الآية: ٤٦.
(٥) سورة الشعراء. الآيات: ٩٩ ـ ١٠١.

أما قوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾[١]، فقد استثنى من ذلك عموم الشفاعةِ بإذنِه سبحانه في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[٢]، وقد أمر الله رسوله بأن يستغفر للمؤمنين ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، والاستغفار شفاعة، وقد روي أنه عليه السلام قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».[٤]

شفاعة غير الأنبياء:

وليست الشفاعة قاصرة على الأنبياء، بل قد يشفع الأولياء، والصالحون، والعلماء العاملون، والشهداء، والملائكة، كلٌّ على قدر درجته ومنزلته عند الله ـ سبحانه ـ، ويتفضل سبحانه بالإذن بالشفاعة لمن شاء ويقبل شفاعتهم، وشفاعة الملائكة على الترتيب، فأولهم جبريل، وآخرهم التسعة عشر ملكًا التي على النار.

***

المناقشة

١ـ عرف الشفاعة لغة واصطلاحًا.

٢ـ للنبي ﷺ عدة شفاعات اذكرها.

٣ـ كيف ترد على من أنكر الشفاعة مستدلًا بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾؟

٤ـ هل يشفع الصالحون والعلماء لغيرهم؟ وضح هذا الموضوع.

(١) سورة البقرة. الآية: ٤٨.
(٢) سورة طه. الآية: ١٠٩.
(٣) سورة محمد. الآية: ١٩.
(٤) أخرجه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(١٠)

الحسنات والسيئات

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

٨٠ـ فَالْسَّيئاتُ عِنْدَهُ بِالْمِثْلِ ❊ وَالْحَسَنَاتُ ضُوعِفَتْ بِالْفِعْلِ

تعريف الحسنات: جمع حسنة، وهي ما يمدح فاعلها شرعًا، وسميت حسنة؛ لحسن وجه فاعلها.

والمراد بالحسنة: المقبولة الأصلية التي عملها العبد، أو ما في حكمها، كما إذا تصدّق شخص عن شخص آخر بصدقة، ووهب له ثواب هذه الصدقة.

فخرج «بالمقبولة» المردودة، بنحو رياء فلا ثواب فيها أصلًا، وخرج «بالأصلية» الحاصلة بالتضعيف، فلا تضاعف ثانية، وخرج «بالتي عملها العبد، أو ما في حكمها» الحسنة التي همَّ بها، ولم يعملها، فتكتب واحدة من غير تضعيف.

مضاعفة الحسنات من خصائص هذه الأمة:

وأقل مراتب التضعيف عشر، يقول سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[١]، وقد تُضَاعف إلى «سبعين، أو سبعمائة ضعف، أو إلى أضعاف كثيرة»، لا يعلمها إلا الله سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

(١) سورة الأنعام. الآية: ١٦٠.
(٢) سورة البقرة. الآية: ٢٦١.

وتتفاوت مراتب التضعيف تبعًا للتفاوت، والإخلاص، وحسن النية، أما إذا همّ بحسنة فلم يعملْها، فإنها تكتب حسنة واحدة من غير مضاعفة، وكذلك إذا عزم على معصية ثم تركها تكتب له حسنة.

تعريف السيئات: جمع سيئة، وهي: ما يذم فاعلها شرعًا، صغيرة كانت، أو كبيرة، وسميت سيئة؛ لأن فاعلها يُسَاء عند المقابلة عليها يوم القيامة.

والمراد بالسيئة: التي عملها العبد حقيقة، كأن يكون سَبَّ شخصًا، أو عَقَّ والديه مثلًا، أو ما في حكمها، كأن يكون ظلم أحدًا في دنياه فيؤخذ من سيئات المظلوم وتُطْرَح على الظالم، أما من فعل سيئة، فإنها لا تضاعف، بل تحسب عليه سيئة واحدة قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1].

* * *

(١) سورة الأنعام. الآية: ١٦٠.

(١١)

التوبة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

٨١ ـ ثُمَّ الذُّنُوبُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ ** صَغِيرَةٌ كَبِيرَةٌ فَالثَّانِي

٨٢ ـ مِنْهُ المَتَابُ وَاجِبٌ فِي الحَالِ ** وَلا انْتِقَاضَ إِنْ يَعُدْ لِلْحَالِ

٨٣ ـ لَكِنْ يُجَدِّدُ تَوْبَةً لِمَا اقْتَرَفْ ** وَفِي الْقَبُولِ رَأْيُهُم قَدْ اخْتَلَفْ

التوبة لغة هي: مطلق الرجوع، وكذلك المَتاب بمعنى التوبة، واصطلاحًا: هي ما استجمع ثلاثة أركان: الإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على ألا يعود، فلوْ لمْ يقلع، أو لمْ يندم، أو عزم على العود فليس بتائب، هذا إن لم تتعلق المعصية بالآدمي، فإن تعلقت به فلها ركن رابع وهو رد المظلمة إلى ذلك الآدمي، أو تحصيل البراءة منه، ومن شروطها أيضًا صدورها قبل الغرغرة قبيل الموت يقول سبحانه: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[1]، ومن شروطها أيضًا أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها.

وعدم صحة التوبة عند الغرغرة بالنسبة للكافر والعاصي هو رأي الأشاعرة، وقد نسب إلى الماتريدية أن توبة العاصي عند الغرغرة مقبولة، وتوبة الكافر غير مقبولة، وروي العكس، والحق رأي الأشاعرة، فالآية صريحة، ولم تفرق بين الكافر والعاصي في عدم قبول التوبة عند الغرغرة.

---

(١) سورة النساء. الآية: ١٨.

شروط التوبة:

وبناء على هذا، فإن شروط التوبة خمسة بالنسبة لحقوق الله، وستة بالنسبة لحقوق الآدميين:

١ـ الإقلاع عن الذنب.

٢ـ الندم على فعله.

٣ـ العزم على عدم العودة إليه.

٤ـ رد المظالم إلى أهلها، وهو خاص بالحق الآدمي.

٥ـ أن تكون التوبة قبل الغرغرة.

٦ـ أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها.

وجوب التوبة:

والتوبة واجبة فورًا على من ارتكب ذنبًا، سواء كان صغيرًا أم كبيرًا، فتأخير التوبة ذنب آخر، ويتفاوت هذا الذنب باعتبار التأخير.

وعند المعتزلة يتعدد الذنب بالتراخي، فتتراكم الذنوب، وتزيد كلما تأخر في التوبة.

أما دليل وجوب التوبة: فشرعي عند الأشاعرة، وهو قوله سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وعند المعتزلة يثبت الوجوب بالعقل؛ لأن العقل يدرك حسنها فيوجبها.

(١) سورة النور. الآية: ٣١.

حكم من عاد إلى الذنب بعد التوبة:

يرى المعتزلة: أن فعل الذنب بعد التوبة منه ينقض التوبة، فيعود ذنبه الذي تاب منه بعوده إليه، فشرط صحة التوبة عندهم ألاّ يعاود الذنب بعد التوبة.

وعند الصوفية: معاودة الذنب بعد التوبة أقبح من «سبعين» ذنبًا بلا توبة، وهما رأيان ضعيفان.

أما أهل السنة: فيرون أن العود إلى الذنب لا ينقض التوبة، ما دام عازمًا عند التوبة على عدم العود، وعليه إن وقع في الذنب مرة أخرى أن يجدّد توبة أخرى وهكذا، فلا يضر إلا الإصرار على المعاصي.

واستدل أهل السنة على ما ذهبوا إليه ببعض الأدلة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]، وهم الذين يتوبون كلما أذنبوا، ويقول في وصف المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[2]، ومن هذه الأدلة أيضًا قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم»[3].

آراء العلماء في قبول التوبة:

هل يجب على الله تعالى أن يقبل توبة التائب: ذهب أهل السنة إلى أن الله يتفضل بقبول التوبة إذا استجمعت شرائطها؛ حيث يقول:

(١) سورة البقرة. الآية: ٢٢٢.
(٢) سورة آل عمران. الآية: ١٣٥.
(٣) أخرجه مسلم.



﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[2]، فهذا وعدٌ كريمٌ، ووعد الكريم لا يتخلف، وإنما ندعو بقبولها خوفا من أن تكون شروطها غير متحققة من الإخلاص، وحسن النية.

وتوقف إمام الحرمين والقاضي أبو بكر الباقلاني من أهل السنة، فلم يقطعا بالقبول، بل هي معلقة بالمشيئة، وقالوا: إن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[3]، دليل محتمل بمعنى أنه يقبلها إن شاء وإلا فَلا.

وذهبت المعتزلة إلى أن الله تعالى يجب عليه أن يقبل توبة عباده إن تابوا، وكانت توبتهم مستجمعة للشروط، وهذا كلام فيه تطاول على الله تعالى.

وقد أجمعوا على أن توبة الكافر مقبولة بمشيئته؛ بدليل قوله سبحانه: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾[4]، وهذا يؤيد رأي الأشعري؛ إذ لا فرق بين الكافر وبين المؤمن العاصي في قبول التوبة، بل العاصي أولى بالقبول إذا تحققت شروطها.

ولا يخفى أن توبة الكافر بتركه الكفر وبإيمانه.

❊ ❊ ❊

(١) سورة النساء. الآية: ١٧.
(٢) سورة الشورى. الآية: ٢٥.
(٣) سورة الشورى. الآية: ٢٥.
(٤) سورة الأنفال. الآية: ٣٨.

(١٢)

الذنوب كبائر وصغائر

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

٨٤ـ وباجتنابٍ للكبائر تُغفرُ * صغائرٌ وجا الوضو يكفِّرُ

تعريف الكبائر والكبيرة:

هي الذنوب العظيمة التي وضع لها الشارع حدًّا في الدنيا، أوْ توعّد صاحبها بالعذاب الأليم، أو وُصِفَ بالفسق، أو بلعنة الله ورسوله، وأعظمها الشرك، وقد بيّن عليه السلام بعض الكبائر، حيث يقول: «اجتنبوا السبع الموبقات أي: المهلكات قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات»[١]، وهناك من الكبائر غير هذه السبع كثير (مع تفاوت مراتبها)، كالكذب، والغيبة، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين.

تعريف الصغائر:

أما الصغائر فهي: ما ليس فيها حد في الدنيا، ولا توعد بعذاب في الآخرة.

وتُعْطى الصغائر حكم الكبائر بالإصرار عليها والتفاخر بها، أما إن فعلها من غير نية العود فهي صغائر.

وبعد أن علمنا أن الذنوب «صغائر، وكبائر» وهو الرأي الصحيح، نجد أن هناك من خالف في هذه المسألة:

---

(١) متفق عليه.

١ـ فخالف المرجئة؛ حيث ذهبوا إلى أن الذنوب كلها صغائر لا تضر مرتكبها ما دام على الإسلام.

٢ـ وخالف أيضًا الخوارج؛ حيث ذهبوا إلى أن الذنوب كلها كبائر، وأن كل كبيرة كفر.

٣ـ وثالث ذهب إلى أن الذنوب كلها كبائر، نظرًا لعظمة مَنْ عُصِيَ بها أي: الله عز وجل، ولكن لا يَكْفُر مرتكبها، كما قالت الخوارج، إلا بما هو كُفْرٌ كسجود لصنم.

مكفّرات الذنوب:

يُكفّر الله الذنب بفعل بعض الصالحات، كالوضوء، والعمرة، وصلة الرحم، والصَّدَقة، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[1]، فالسيئات كالأمراض، والحسنات دواء لها، وتغفر الذنوب باجتناب الكبائر، كما يقول سبحانه: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾[2].

وقد اتفق المسلمون على أن التكفير يترتب على الاجتناب، فقد وَعَدَ سبحانه بذلك، ووعْده لا يتخلف.

ثم اختلفوا هل هذا الترتيب قطعي أو ظني؟ فذهب جماعة من الفقهاء والمحدثين والمعتزلة: إلى أنه قطعي؛ لأنه ثبت بدليل قطعي، وهو قوله سبحانه: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾[3]، وذهب أئمة الكلام إلى أنه ظني؛ لاحتمال تعلقه على المشيئة.

---

(١) سورة هود. الآية: ١١٤.
(٢) سورة النساء. الآية: ٣١.
(٣) سورة النساء. الآية: ٣١.

أما الكبائر: فمنها ما يتعلق بالله وحده، وهو يُغْفَرُ بالتوبة، وأشد الذنوب المتعلقة به سبحانه الكفر، يُغْفَرُ بالتوبة، يقول سبحانه: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[1]، فغيره أولى بالمغفرة فضلاً منه سبحانه.

هذا كله في الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى، أما الذنوب المتعلقة بالناس، فلا بد من ردّ المظالم إلى أهلها، فمن تاب وعزم على ردّ المظالم، ولم يستطع، ثم مات، وهو صادق النية، أرضى الله عنه أصحاب هذه المظالم.

❋ ❋ ❋

(١) سورة الأنفال. الآية: ٣٨.

(١٣)

حكم مرتكب الكبيرة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

٨٥ ـ ومَـنْ يَمُـتْ ولَمْ يَتُـبْ مـن ذنبِهِ ** فأَمْـرُهُ مُفَـوَّضٌ لِرَبِّـهِ

٨٦ ـ وَوَاجِبٌ تَعْذِيبُ بَعْضٍ ارْتَكَبْ ** كَبِـيرَةً ثُـمَّ الخُلُـودُ مُجْتَنَـبْ

١ ـ مذهب أهل السنة:

أولًا: مَنْ مات قبل أن يتوب من الصغائر، فالأمر فيها موكول إلى الله ـ سبحانه ـ إن شاء غفر، وإن شاء عذّب.

ثانيًا: يرى أهل السُّنَّة: أنَّ مَنْ مات قبل أن يتوب من الكبائر، فأمره مفوض إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء أدخله النار دون خلود فيها، وهذا مفهوم من عموم قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[1].

أما المعتزلة: فيرون أن مرتكب الكبيرة، الذي مات دون أن يتوب منها، لا بد من خلوده في النار؛ وهذا رأي يخالف صريح القرآن والسنة، فقوله سبحانه: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[2]، صريح في جواز المغفرة بدون توبة، ويقول عليه السلام: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»، فقال أبو ذر: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: «وإن زنى، وإن سرق»، فأعاد أبو ذر سؤاله ثلاثًا، والرسول يرد بنفس الرد، ثم قال في الثالثة: «وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر»[3].

(١) سورة النساء. الآية: ١١٦.
(٢) سورة النساء. الآية: ١١٦.
(٣) متفق عليه.

وفي تخليد مرتكب الكبيرة في النار، تسوية بينه وبين الكفار، مع أن الله خاطب العصاة بوصف الإيمان كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾[1].

هل يجب تحقق الوعيد؟

بمعنى آخر، هل يجب أن يعذب الله بعض العصاة ليتحقق وعيده فيمن توعّد؟ يعني يعذب بعض القتلة، وبعض الزناة، وبعض شاربي الخمر؟

يقول الماتريدية: نعم، إنه يجب تعذيب بعض العصاة؛ ليتحقق الوعيد.

ويقول الأشاعرة: إنه لا يجب تعذيب أحد، بل تجوز المغفرة لجميع المؤمنين، وهذا بناءٌ على المذهب من أنه يجوز تخلف الوعيد، وإن كان لا يجوز تخلف الوعد.

وقد رأى الشيخ «عبد السلام بن إبراهيم اللقاني» أن المقصود بالأمة أمة الدعوة، فتشمل الكفار، والذين لم يستجيبوا، فيجوز أن يكون البعض المعذب على بعض الكبائر من الكفار.

أما بالنسبة لخلود العصاة في النار، فلا يقول به أهل السنة.

والحاصل أن الناس على قسمين: مؤمن وكافر، فالكافر مخلّد في النار إجماعًا، والمؤمن على قسمين: طائع وعاصٍ، فالطائع في الجنة إجماعًا، والعاصي على قسمين: تائب وغير تائب، فالتائب في الجنة إجماعًا، وغير التائب في المشيئة، وعلى تقدير عذابه فإنه لا يخلّد في النار.

(١) سورة الحجرات. الآية: ٩.

المناقشة

١ـ اختص الله أمة محمد ﷺ بمضاعفة الحسنات فما مراتب التضعيف، مع ذكر الدليل.

٢ـ تتنوع الذنوب إلى صغائر وكبائر، فما مفهوم كل واحد منهما، وما دليل انقسامها؟ وما المقصود بالكبائر؟ وما أمثلتها؟

٣ـ للتوبة النصوح أركان، فما هي؟

٤ـ اختلف العلماء فيمن عاد إلى الذنب بعد التوبة منه، وضح الخلاف بالتفصيل.

٥ـ قال صاحب الجوهرة.

ومن يمت ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض لربه

ما المقصود بالقول السابق، وهل هناك خلاف في هذا، وما حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة؟ وما أدلتهم؟ ومن المخالف لهم؟ وما رأيهم؟

٦ـ بيِّن المذاهب في تحقق وعد الله، ووعيده، مع تحديد المذهب الصحيح.

❊ ❊ ❊



(١٤)

صحائف الأعمال

قَالَ النَّاظمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٧ ـ وَوَاجِبٌ أَخْذُ الْعِبَادِ الصُّحُفَا ❊ كَمَا مِنَ الْقُرْآنِ نَصًّا عُرِفَا

المراد بصحف الأعمال:

صحف الأعمال: هي التي سطّرَتْ فيها الملائكةُ كلَّ ما يفعله المرء في الدنيا.

وقيل: إن لكل يوم صحيفة، كما وَرَدَ: «ما من مؤمن إلا وله كل يوم صحيفة، فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت، وهي سوداء مظلمة، وإذا طويت، وفيها استغفار طويت، ولها نور يتلألأ، فإذا كان يوم الحساب، وُصلت هذه الصحف بعضها ببعض حتى تكون صحيفة واحدة»[١].

وقيل: إنّ هناك من ينسخ هذه الصحف المتعددة في صحيفة واحدة؛ فالكتاب الذي يعطى لصاحبه كتاب واحد فيه كل صغيرة وكبيرة، كما يقول الله عَزَّوَجَلَّ سبحانه وتعالى، على لسان المجرمين: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٢].

أما بالنسبة لطريقة أخذ الكتاب: فإن المؤمن يأخذ كتابه بيمينه إكرامًا له، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾[٣]، أما الكافر، فإنه يأخذه بشماله من وراء ظهره، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾[٤].

---

(١) ذكره النسفي، لم يرو هذا الحديث في شيء من كتب السنة.
(٢) سورة الكهف. الآية: ٤٩.
(٣) سورة الحاقة. الآية: ١٩.
(٤) سورة الحاقة. الآية: ٢٥.

وإعطاء الكتب ليس خاصًّا بالأمة الإسلامية، بل هو عام في جميع الأمم، لكل من وجب عليه الحساب، أما من عافاه الله من الحساب، كالأنبياء، ومن أكرمهم الله بإدخالهم الجنة بغير حساب، فليس هناك حاجة لإعطائهم كتبهم، وسيكون على رأس من يدخلون الجنة بغير حساب من غير الأنبياء أبو بكر ﵁ كما ورد.

ولكن مَنْ يدفع الصحف للعباد: ورد أن رِيحًا تُطَيِّرُ الكتب من خزانة تحت العرش، فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها، كما ورد أن كل شخص يدعى فيعطى كتابه، فالريح تُطَيّرها، والملائكة يسلمونها لأصحابها بأيمانهم إن كانوا مؤمنين، وبشمائلهم ومن وراء ظهورهم إن كانوا كافرين.

أما المؤمن العاصي، فقد اختلفت الأقوال في شأنه، ولم يقل أحد بأخذه بشماله، وتوقّف البعض عن الحكم، والصحيح أنه يأخذهُ بيمينه؛ لأنه مؤمن، كما جزم بذلك الإمام الماوردي، وهو المشهور.

الدليل على هذه المسألة: قد ثبت أخذ صحائف الأعمال بالكتاب، والسنة، والإجماع، يقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[1]، وقال: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[2].

حكم الإيمان بثبوت صحائف الأعمال: واجب، ومنكره كافر؛ لما سبق من الأدلة.

---

(١) سورة الانشقاق. الآيات: ٧ـ١٢.
(٢) سورة الإسراء. الآيتان: ١٣، ١٤.

وكيف يقرأ كتابه وقد يكون أميًّا؟ وما هي اللغة التي تكتب بها الصحف، وللناس لغات شتى، ولهجات مختلفة؟

قيل إن القراءة ليست مقصودة بحقيقتها، بل ذلك مجاز عن العلم، فتعرض عليه أعماله بصورة سريعة يدرك فيها كل شيء، فيقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾[1].

والراجح أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق فيه القدرة على القراءة، والفهم؛ ليقيم عليه الحجة، وقيل إن هناك من لم يقرأ ذهولًا ودهشة من القبائح التي فيه، ونُفَوِّضُ علم هذه الأمور إليه سبحانه وتعالى، فهو أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الكهف. الآية: ٤٩.



(١٥)
الوزن والميزان

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٨ ـ وَمِثْـلُ هَـذَا الْـوَزْنُ وَالْمِيـزَانُ ❊ فَتُـوزَنُ الْكُتُـبُ، أَوْ الأَعْيَـانُ

يكون الوزن لمن يُعطى الكتاب استعدادًا للحساب، وأما من أُعفوا من الحساب، فلا يعطون صحفًا، ولا تُوزن لهم أعمالٌ.

وعملية الوزن والتقدير تحتاج إلى آلة يكون بها الوزن، وهي الميزان.

صفة الميزان:

وقيل: في وصف الميزان، إنه يشبه موازين الدنيا.

ويكون ثِقَلُ الميزان وخفته على هيئته في الدنيا، وقيل عكس ذلك، فيصعد الثقيل إلى أعلى، ويهبط الخفيف إلى أسفل؛ أخذًا من قوله سبحانه: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[1]، والأولى التفويض في هذه التفاصيل، وهل هو ميزان واحد، أو موازين متعددة لكل شخص ميزان، أو لكل عمل ميزان؟ أقوال مختلفة.

وهل توزن أعمال الكفار، أو يكفي الكفر ليدخلهم النار؟ وقد تكون للكافر حسنات وسيئات غير الكفر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2]، فلا بد من وزن حسناتهم وسيئاتهم فيرجح الكفر ويلقى في النار، أما قوله سبحانه: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[3]، أي نافعًا يعود عليهم بنعيم، أو تخفيف العذاب.

---

(١) سورة فاطر. الآية: ١٠.
(٢) سورة فصلت. الآية: ٤٦.
(٣) سورة الكهف. الآية: ١٠٥.

آراء العلماء في الميزان:

أما المعتزلة فقد فسّروا: الميزان بالعدالة المطلقة، وجعلوا الميزان رمزًا لها، وليس هناك ـ في رأيهم ـ ميزان حقيقي، وشبهتهم في ذلك أن الأعمال مما ليس له ثقل حتى توزن.

أما أهل السنة: فيرون أن حمل هذه النصوص على ظاهرها وحقيقتها، أولى من تأويلها وصرفها، فالحقيقة ممكنة، بأن تصور المعاني صورًا حسية لها وزن، أو أن توزن نفس الصحف، ويشهد لذلك حديث البطاقة، الذي رواه الترمذي والذي ذُكر فيه، أنه يُؤْتَى بشخص يُنشر عليه تسعة وتسعون سجلًا، يعترف بكل ما فيها من سيئات، ثم توضع في كفة حسناته بطاقة، فيها كلمة التوحيد فتطيش السجلات، وهذا لرجل أراد الله له الخير، أوْ تُوزن الأشخاصُ أنفسهم، وقد وردت آثار تشهد لكل رأي من هذه الآراء.

دليل الوزن والميزان:

ورد إثبات الوزن والميزان في الكتاب والسنة، وأجمعت عليهما الأمة، يقول سبحانه: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[2]، ويقول ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾[3].

(١) سورة الأعراف. الآيتان: ٨، ٩.
(٢) سورة الأنبياء. الآية: ٤٧.
(٣) سورة القارعة. الآيات: ٦ ـ ١١.

حكم الإيمان بالوزن والميزان: واجب، ومنكره كافر؛ لما مرّ من أدلة.

الحكمة من الوزن: إظهار العدالة الإلهية المطلقة، وطمأنة المؤمنين، وإنذار المجرمين، وإقامة الحُجّة على المخالفين.

❊ ❊ ❊



(١٦)
الصراط

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٩ ـ كَـذَا الْـصِّـرَاطُ فَالْعِبَـادُ مُخْتَلِـفْ ** مُرُورُهُـــم فَسَـــالِمٌ وَمُنْتَلِفْ

والصراط لغة: الطريق الواضح الصحيح، وفي الاصطلاح: جسر ممدود على متن جهنم ترده جميع الخلائق، ما عدا طائفة من الكفار، يُعَجَّل بإلقائهم في جهنم من الموقف مباشرة.

ويسير على الصراط من يدخل الجنة بغير حساب، والكل صامت لا يتكلم إلا الأنبياء يقولون: اللهم سلّم سلّم.

وقد اشتبه الأمر على المعتزلة، فظنوا أن هناك تعارضًا في الأوصاف، ولذلك لم يعترفوا بالصراط على حقيقته المشهورة، بل صرفوه عن ظاهره وقالوا: المراد به الأدلة الواضحة، فليس هناك صراط حقيقي ممدود على متن جهنّم يمرّ عليه الناس.

أما أهل السنة فيرون أنّه ليس هناك ما يدعو إلى هذا التأويل، وصرف النصوص عن ظاهرها؛ لأن الحقيقة ممكنة، واختلاف الأوصاف في الضيق والسعة يمكن فهمه باعتبار المارين عليه حسب أعمالهم التي تنير لهم الطريق، فالعصاة يشقّ عليهم المرور حتى يبدو أمامهم الطريق ضيّقًا حادًّا، والصالحون يعبُرون بفضلٍ من الله، فيرون الطريق أمامهم واسعًا سهلًا.

وهذا ما ورد أيضًا أن الناس يختلفون في المرور على الصراط، فمنهم من يجتازه كَطَرْفِ العين، ومنهم من يمرّ كالبرق الخاطف، أو كالريح العاصف، أو كالطير، أو كالجواد السابق، ومنهم من يجتازه سعيًا أو مشيًا، ومنهم من يحبو حبوا، وإنما كان ذلك التفاوت حسب التفاوت في الأعمال الصالحة والسيئة.

دليل ثبوت الصراط: أنه قد ورد ذكره في القرآن الكريم؛ حيث يقول سبحانه: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾[1]، كما ورد في السنة الصحيحة ذكر الصراط وأوصافه، يقول عليه السلام: «ثم يُضرَبُ الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دَحْضٌ مزلة فيه خطاطيف»[2].

ووَرَد أيضًا أن الملائكة تقوم على جانبيه، وكذلك الكلاليب التي تأخذ العصاة، فتلقي بهم في النار، وأن فيه طريقين، فأهل السعادة يسلكون طريق اليمين، وأهل الشقاء يسلكون طريق الشِّمال.

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢ ﴾[3]، والأظهر أنه الصراط، فجميع الخلائق تَرِدُ جهنم بمرورهم فوق الصراط حتى الأنبياء، والشهداء والصالحون، فينجوا هؤلاء، وتأخذ الكلاليب العصاة فتلقيهم في النار.

وما ورد في تفاصيله، نفوّض علمه إلى الله ـ تعالى ـ.

---

(١) سورة الفاتحة. الآية: ٦.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) سورة مريم. الآيتان: ٧١، ٧٢.

الخلاصة: أن جميع المؤمنين يعترفون بالصراط في الجملة، والمعتزلة منهم يصرفون النصوص عن ظاهرها، ويرون أن المقصود الطريق، أو الأدلة الواضحة.

حكم الإيمان بالصراط: واجب، ومنكره كافر لما سبق من الأدلة، أما منكر هذا التفصيل فليس بكافر، ولا فاسق.

الحكمة من الصراط: إظهار فرح المؤمنين، وحسرة الكافرين.

* * *

المناقشة

١ـ ما المقصود بصحائف الأعمال؟ وكيف يأخذها العباد؟ وما دليل ذلك؟ وما حكم الإيمان بها؟ وما حكم منكرها؟

٢ـ ما حكم الإيمان بالوزن والميزان يوم القيامة؟

وكيف نفهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[1]؟

٣ـ ما المقصود بالصراط يوم القيامة؟ وما دليله؟ وكيف نفهم التفاصيل الواردة فيه؟ وكيف يختلف العباد في المرور عليه؟ وما حكم الإيمان به؟ وما حكم منكر ذلك؟

* * *

(١) سورة الكهف. الآية:١٠٥.

(١٧)

الحوض

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

٩٠ـ إِيمَانُنَا بِحَوْضِ خَيْرِ الرُّسْلِ ** حَتْمٌ كَمَا قَدْ جاءنا فِي النَّقْلِ

٩١ـ يَنَالُ شُرْبًا مِنْهُ أَقْوَامٌ وَفوا ** بِعَهْدِهِمْ وَقُلْ يُذَادُ مَنْ طَغَوْا

تعريفه:

قيل في تعريفه: هو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[١]، عندما يشتد الموقف بالناس، يظهر الله ـ سبحانه ـ كرامة هذه الأمة، وخصائصها، فتكون لرسولها الشفاعة العظمى في إنهاء الموقف، ثم يكون أتباعه أوّل مَنْ يمرون على الصراط، ثم يخصهم الله سبحانه بخاصة أخرى يشربون منه، فلا يظمأون أبدًا.

وقد ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدًا»[٢].

وهذا الحوض بهذه الأوصاف من خصائص رسولنا ﷺ.

وقيل: لكل نبي حوض، يرده من آمن به، كما ورد عن الحسن مرفوعًا، «أن لكل نبي حوضًا، وهو قائم على حوضه، وبيده عصا يدعو من عرفه من أمته، ألا وإنهم يتباهون أيهّم أكثر تبعًا، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا»[٣].

(١) سورة إبراهيم. الآية:٤٨.
(٢) متفق عليه.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا.

والأحاديث الواردة في الحوض كثيرة جدًّا تكاد تكون متواترة، وكلها مجمعة على نسبة الحوض إلى النبي ﷺ، وإن اختلفت في وصفه، ففي بعض الروايات أنه مسيرة شهر، وفي البعض الآخر أنه مسيرة شهرين، وبعضها مثل المسافة بين مكة وأيلة، وقيل كالمسافة بين عدن وعمان، أوْ بين صنعاء والمدينة، أوْ بيْن المدينة وبيت القدس، والمقصود من كل ذلك أنه واسع لحد كبير.

ولقد أدى هذا الاختلاف في صفة الحوض ببعض المعتزلة إلى إنكاره، وأولوه بأنه نوع من رضوان الله ونعمه، وليس هناك ما يمنع أن يكون رضوان الله بهذه الصورة التي وردت في الأحاديث، وليس هناك أيضًا ما يدعو إلى صرف هذه النصوص عن ظاهرها ما دامت الحقيقة ممكنة، وهذا هو الحق، وهو رأي أهل السنة.

أما مكانه: فلم يرد في السنة الصحيحة تحديدٌ له، وقد اختلفت الأقوال فيه:

فهناك من يقول إنه قبل الصراط؛ ليشرب منه المؤمنون، بعد خروجهم من القبور عِطَاشًا.

وفريق آخر يرى أن موضعه بعد الصراط قبل الجنة، والناس في حاجة إلى الشرب منه في هذا الموضع؛ لأنهم يقفون بعد الصراط ليتحللوا من المظالم فيما بينهم.

وفريق ثالث يرى أن هناك حوضين لنبينا عليه السلام، أحدهما قبل الصراط، والآخر بعده، ولا حرج على فضل الله.

وهذا الحوض يشرب منه المؤمنون، أما الكفار والمرتدون الذين أحدثوا وغيَّروا وبدَّلوا بعده ﷺ فيُطردون عنه، فلا يشربون كما في الحديث الصحيح، وأما عصاة المؤمنين فالصحيح أنهم يُمنعون أولًا عقابًا لهم ثم يباح لهم الشرب منه.



(١٨)

الإيمان بالعرش والكرسيّ والقلم واللوح المحفوظ

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٢ـ والعـرشُ والكُـرْسِيُّ ثـم القَلَمْ ⁂ والكاتبـون اللـوحُ كلٌّ حِكَمُ

٩٣ـ لا لاحتيـاجٍ وبهـا الإيـمانُ ⁂ يَجِـبْ عليـك أيها الإنسـانُ

يجب الإيمان بهذه الأمور السمعية وهي:

١ـ العرش:

وهو جسم عظيم نوراني علوي ، فوق العالم ، تحمله ملائكة أربعة في الدنيا ، وثمانية في الآخرة ، قال تعالى : ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[١] .

٢ـ الكرسي:

وهو جسم عظيم نوراني تحت العرش ، فوق السماء السابعة، قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٢] .

٣ـ القلم:

وهو جسم عظيم نوراني خلقه الله، وأمره أن يكتب ما كان ، وما يكون إلى يوم القيامة ، كما ورد في السنة المطهرة.

٤ـ الكاتبون:

وهم الملائكة الكتبة، منهم من يكتب أفعال العباد ، ومنهم من يكتب من اللوح المحفوظ في صحف الملائكة لتنفيذها .

(١) سورة الحاقة. الآية:١٧.
(٢) سورة البقرة. الآية:٢٥٥.



٥ـ اللوح المحفوظ :

وهو جسم كتب فيه القلم بإذن الله ما كان وما يكون إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[1] وقال : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[2] .

وهذه الأمور الغيبية خلقها الله لِحِكَم تقصر عقولنا عن إدراكها، وليست لحاجة الله إليها، فلم يخلق العرش للارتقاء، ولا الكرسيَّ للجلوس، ولا القلم لاستحضار ما غاب عن علمه تعالى، ولا الكاتبين ولا اللوح لضبط ما يخاف نسيانه.

حكم الإيمان بما سبق:

يجب على المكلف الإيمان بكل ما سبق من: عرش وكرسي، وكتبة، ولوح، كغيرها من الأمور السمعية الثابتة بالأدلة من الكتاب والسنة.

❊ ❊ ❊

(١) سورة البروج. الآية:٢١ـ٢٢.
(٢) سورة يس. الآية:١٢.



(١٩)

الجنة والنار

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

٩٤ ـ والنَّـارُ حَـقٌّ أُوجِـدتْ كَالجَنَّـه ❊ فَـلا تَمِـلْ لِجَاحِـدٍ ذي جِنَّـهْ

٩٥ـ دَارُ خُلُـودٍ للسَّـعِيدِ والشَّـقِي ❊ مُعَـذَّبٌ مُنَعَّـمٌ مهـا بَقِـيَ

تعريف الجنة:

الجنة في اللغة: البستان، وفي الاصطلاح: دار الثواب التي أعدها الله للمؤمنين؛ لتكون دار إقامة خالدة مؤبَّدة مُعَدَّة للسعداء، الذين فارقوا الدنيا على الإيمان.

درجات الجنة:

والجنة درجات بعضها فوق بعض، أفضلها الفردوس، وهي أعلاها، وتليها جنة «عدن»، ثم «جنة الخلد»، ثم «النعيم»، ثم «المأوى»، «ودار السلام»، «ودار الجلال» فهي سبع، وكلها متصلة بمقام الوسيلة، والدرجة الرفيعة؛ لينعم أهل الجنة جميعًا بمشاهدة المصطفى ﷺ.

وقيل: إن الجنات أربع فحسب، أخذًا من قوله سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[١] وهما جنة النعيم، وجنة المأوى ثم يقول سبحانه: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٢]، وهما عدن والفردوس، والصحيح: أنها جنة واحدة تتفاوت درجاتها.

---

(١) سورة الرحمن. الآية:٤٦.
(٢) سورة الرحمن. الآية:٦٢.

تعريف النار:

والنار في اللغة: جسم لطيف محرق، وفي الاصطلاح: دار العذاب المُعَدَّة للعصاة، والنار دركات: أعلاها جهنم لعصاة المؤمنين، وتحتها «لظى»، ثم «الحطمة»، ثم «السعير»، ثم «سقر»، ثم «الجحيم»، ثم «الهاوية».

وقيل: هي نار واحدة تختلف طبقاتها، وشدة العذاب فيها، كما يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

وجود الجنة والنار:

يرى البعض أن الجنة والنار غير موجودتين الآن، وهو ليس بصواب، كيف وقد أخبر الله ـ سبحانه ـ عن إعداد الجنة والنار، وكونهما دارَيْ ثواب وعقاب في كثير من آي القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾[3]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾[4]، فجمهور المسلمين يرى أنهما موجودتان الآن؛ استنادًا لهذه الآيات، وغيرها الكثير.

وبناء على ما سبق، فإنّ الجنة، والنار حقيقتان، دلّ على وجودهما القرآن والسنة وإجماع الأمة، ولم يصرح بإنكارهما إلا بعض الفلاسفة بناءً على مذهبهم في البعث.

---

(١) سورة النساء. الآية:١٤٥.
(٢) سورة مريم. الآية:٦٣.
(٣) سورة الكهف. الآيتان:١٠٧، ١٠٨.
(٤) سورة الأحزاب. الآية:٦٤.

واستدل المعتزلة على عدم وجود الجنة والنار الآن؛ بأنه لا داعي لوجودهما الآن، ومن ناحية أخرى قد ذكر الله أن عَرْض الجنة كعرض السماء والأرض، فكيف يتصور وجودهما الآن؟

والرد على هذه الشبه يسير؛ لأن ملك الله تعالى ليس محدودًا بهذه السماوات السبع والأراضين حتى لا يجد مكانًا للجنة والنار.

أما الحكمة مِن إعدادهما منذ خلق السماوات والأرض؛ فلا يعلمها إلا الله سبحانه.

مكان الجنة والنار: لم يردْ نصّ صريح بتعيينه، ويرى كثير من الصحابة أن الجنة فوق السماوات السبع، وتحت العرش، وأن النار تحت الأرضين السبع؛ والحقّ تفويض علم ذلك لله.

خلود الجنة والنار: نصوص القرآن صريحة في استمرار الجنة والنار وعدم فنائهما، في كثير من الآيات يذكر سبحانه الخلود على وجه التأبيد؛ ليدلّ على استمرار البقاء، يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[1]، ويقول في حق الكافرين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[2]، ولا يشذ عن هذا الإجماع غير الجهمية، الذين قالوا: بفنائهما بعد النعيم والعذاب.

والخلود في النار خاص بالكافرين، أما عصاة المؤمنين فإنهم يخرجون منها ويدخلون الجنة فيخلدون فيها.

(١) سورة النساء. الآية:١٢٢.
(٢) سورة الأحزاب. الآيتان:٦٤، ٦٥.

والمؤمنون هم السعداء والمخلدون في الجنة، والكفار هم الأشقياء والمخلدون في النار، وهم المقصودون بقوله سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[١].

أما جزاء غير المكلّفين: إن كانوا من أولاد المؤمنين، فالراجح أنهم في الجنة، وأما غيرهم فقيل في الجنة، وقيل غير ذلك.

وفي الجنة من أنواع النعيم (ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) كما ورد في مسلم أو في البخاري.

وكذلك في عذاب النار فيها من الأهوال ما لا يعلمه إلا الله، ويكفي أن وقودها الناس والحجارة.

ولذلك أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذ بالله من النار وأن نسأله الجنة.

❊ ❊ ❊

(١) سورة هود. الآيات: ١٠٦ ـ ١٠٨.

المناقشة

١ـ ما المقصود بحوض نبينا محمد ﷺ؟ وما مذهب أهل السنة فيه؟ وما دليلهم؟ وهل هو قبل الصراط أو بعده؟ وضح ذلك.

٢ـ لماذا أنكر المعتزلة وجود حوض النبي ﷺ؟ وما مذهب أهل السنة والجماعة في إثباته؟ وما أدلتهم؟

٣ـ عرِّف كلًّا من: العرش، الكرسي، القلم، اللوح المحفوظ.

٤ـ ما حكم الإيمان بهذه المخلوقات؟ وما دليل كل منها؟ وما حكم منكر وجودها؟

٥ـ عرف الجنة والنار لغة واصطلاحًا.

٦ـ قيل: إن الجنات سبع فما هي؟

الآثار المترتبة على الإيمان بالسمعيات:

أولًا: الملائكة:

للإيمان بالملائكة أثر كبير في حياة المسلم، من ذلك:

١ـ تقوية شعور المسلم بعظمة الله تعالى، وقد اتضح ذلك من صفاتهم ووظائفهم التي تفيد ما لهم من قدرات وصفات عظيمة، ومع هذا فالملائكة جند من جنود الله تنفذ أوامر الله ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١].

٢ـ توضيح مركز الإنسان الكبير في الكون وأهميته في الحياة، فالملائكة الذين هم أشد من الإنسان قوة قد أمروا بالسجود لآدم عليه السلام، وسخروا لتدبير أمور حياتنا في الدنيا والقيام بشئوننا في الآخرة.

٣ـ يدفع الإنسان إلى التشبه بهم في الطاعة والمداومة على عمل الصالحات.

٤ـ يدفع المرء إلى الاستحياء من الله تعالى وذلك ليقين الإنسان بأن الملائكة تتغشاه في مجالسه وتتولى كتابة أعماله، ويتعاقبون عليه في صحوه وغفلته فلا يقدم على خطأ أو معصية.

٥ـ يستشعر الإنسان بإيمانه بالملائكة الأُنس وعدم الوحشة أو الاستسلام لليأس ليقينه بأن هناك ملائكة يقومون على حفظه ورعايته بأمر من الله تعالى.

ثانيًا: عموم السمعيات:

للإيمان باليوم الآخر وسائر السمعيات آثار فكرية ونفسية وخلقية منها:

١ـ فكريًّا: من يؤمن بالحياة الأخرى يجد: تفسير الكثير من ظواهر الحياة الإنسانية التي يدرك معناها من خلال إيمانه باليوم الآخر وما فيه.

(١) سورة التحريم. الآية:٦.

٢ـ نفسيًّا: يزرع الإيمان باليوم الآخر في نفس المسلم شعورًا بالرضا والطمأنينة والقناعة، نظرًا ليقينه في العدالة الإلهية المطلقة، فيصبر ويتحمل ما يلاقيه من شدائد ومحن في الحياة، فتتحقق سعادته في السراء والضراء على السواء، بخلاف غير المؤمن بالحياة الآخرة، فإنه لا يقوى على مجابهة ما يقع فيه من محن ويكون بين قلق ويأس وإحباط قد يؤدي إلى ما نراه من محاولات إنهاء حياته بالانتحار.

٣ـ خُلُقِيًّا: يعمل الإلمام باليوم الآخر على الالتزام بالقيم الأخلاقية لدى الإنسان المؤمن؛ لأنه يوقن بأن ما يقدمه في حياته الدنيا سيحاسب عليه في الآخرة، ومِن ثم يكون حرص المؤمن على الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة التي سيجزى عليها أمام الله تعالى، يقول تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٢].

❊ ❊ ❊

(١) سورة البقرة. الآية:٢٢٣.
(٢) سورة البقرة. الآية:٢٧٢.

(٢٠)

الكليات الخمس التي أوجب الشرع حفظها

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

٩٦ـ وَحِفْظُ دِينٍ ثُمَّ نَفْسٍ مَالْ نَسَبْ ** وَمِثْلُهَا عَقْلٌ وَعِرْضٌ قَدْ وَجَبْ

لقد أوْجب الشارع على كل إنسان المحافظةَ على خمسةِ أمور، والتي تسمى بالكليات الخمس، وقيل سِتٌّ، وإنما سميت بالكليات؛ لأنه يتفرع عليها أحكام كثيرة؛ ولأنها وجبت في كل ملّة.

والكليات الست هي: الدين، والنفس، والمال، والنسب، والعقل، والعرض.

أولًا: الدين: الدين هو ما شرعه الله لعباده من الأحكام، والمراد بحفظه صيانته عن الكفر وانتهاك حرمة المحرمات، كأن يفعل المحرمات غير مبالٍ بحرمتها، وانتهاك وجوب الواجبات، كأن يترك الواجبات غير مبال بوجوبها، ولحفظ الدين شرع القتال.

ثانيًا: النفس أي: نفس بشرية ذكرًا، أو أنثى، كبيرًا، أو صغيرًا، عاقلًا، أو غير عاقل، ولحفظ النفس شرع القصاص.

ثالثًا: المال: وهو كل ما يحلّ تملكه شرعًا، ولحفظه شرع حد السرقة.

رابعًا: النسب: والمراد به الارتباط الذي يكون بين الوالد وولده، ولحفظه شرع حد الزنا.

خامسًا: العقل: وهو مناط التكليف، ولحفظه شرع حد شرب الخمر، والدية لمن أذهبه بجناية.

سادسًا: العرض: والمراد به موضع المدح والذم من الإنسان، ولحفظه شرع حد القذف.



(٢١)
المعلوم من الدين بالضرورة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٧- وَمَــنْ لِمَعْلُــومٍ ضَرُورَةً جَحَــدْ ❊ مِـنْ دِينِنَـا يُقْتَلُ كُفْـرًا لَيْسَ حَدْ

٩٨- وَمِثْـلُ هَـذَا مَـنْ نَفَـى لِمُجْمَـعِ ❊ أَوْ اسْـتَبَاحَ كَالْزِّنَـا فَلْتَسْـمَعِ

المعلوم من الدين بالضرورة هو: ما يعلمه خواص المسلمين وعوامهم، وذلك كوجوب الصلاة، وحرمة الزنا.

حكم منكر المعلوم من الدين بالضرورة: كافر؛ لأن جحده مستلزم لتكذيب النبي ﷺ، وذلك بعد إقامة الحجة عليه.

واختُلف فيمن أنكر شيئًا أُجمع عليه إجماعًا قطعيًّا، فقيل يكفر، والراجح أنه لا يكفر إلا إذا كان معلومًا من الدين بالضرورة، وعليه فالمعول عليه في القضية هو المعلوم من الدين بالضرورة، وليس شيئًا آخر.

واعتقاد إباحة محرم معلوم من الدين بالضرورة، يشمل الكبائر والصغائر كالكذب مثلًا، ويشمل ما كان تحريمه لعينه، مثل الزنا، وما كان تحريمه لعارض، كصوم يوم العيد، فإن تحريمه لعارض، وهو الإعراض عن ضيافة الله ـ تعالى ـ، وخالف في ذلك البعض.

❊ ❊ ❊

(٢٢)

الإمامة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٩ـ وَواجِـبُ نَصْـبُ إِمَـامٍ عَـدْلِ ** بِالْـشَرْعِ فَاعْلَمْ لا بِحُكْمِ الْعَقْلِ

١٠٠ـ فَلَيْـسَ رُكْنًـا يُعْتَقَـدْ فِي الدِّيـنِ ** فَـلَا تَـزِغْ عَـنْ أَمْـرِهِ المُبَـين

١٠١ـ إِلَّا بِكُفْـرٍ فَانْبِـذَنَّ عَهْـدَه ** فَاللـهُ يَكْفِينَـا أَذَاهُ وَحْـدَهُ

١٠٢ـ بِغَـيْرِ هَـذَا لا يُبَـاحُ صَرْفُـهُ ** وَلَيْـسَ يُعْـزَلُ إِنْ أُزِيـلَ وَصْفُهُ

مقدمة:

قضية الإمامة (الحكم) من القضايا الكلية التي وضع الإسلام لها أصولًا عامة وترك للمسلمين تفاصيلها وذلك أنه اشترط للحكم بعد الالتزام بتنفيذ شرع الله أن يقوم على ثلاثة مبادئ: العدل، والشورى والطاعة لأولي الأمر فيما أحب المؤمن أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى لم يشرْ على شخص بعينه، أو لأسرة بعينها لتولي الخلافة من بعده مما يدل على أن أمر المسلمين في هذه القضية موكول إلى الأمة تختار من تراه كفؤًا من المسلمين؛ ليتولى أمرها ولقد كانت البيعة التي تمت لأبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة بيعة حرة من غير عهدٍ ووصية أو نصّ عليه.

معنى الإمامة: هي رئاسة عامة في الدين والدنيا.

والإمامة من المصالح العامة، وليس الإيمان بها من أركان الدين كما تزعم الشيعة.

حكم تنصيب إمام عدل: واجب على الأمة، عند عدم النص من الله ـ تعالى ـ، أو رسوله على شخص معين، أو عدم الاستخلاف من الإمام السابق، وهذا الوجوب بالشرع، وليس بالعقل، كما زعمت المعتزلة.

ومن الوجوه الدالة على نصب الإمام: أن الشارع أمر بإقامة الحدود، وسد الثغور، وتجهيز الجيوش، وهذا لا يتم إلا بإمام يرجعون إليه، وفي تنصيب الإمام رفع ضرر عن المسلمين، ورفع الضرر واجب شرعًا.

ولا فرق بين وجوب نصب الإمام في زمن الفتنة وغيره.

ويأتي هنا سؤال، لماذا يذكر علماء التوحيد الإمامة في كتب التوحيد، وهي ليست من أركان الإيمان؟

غالبًا يذكر علماء الكلام الإمامة في كتبهم؛ لبيان حكمها، وللرد على أهل البدع والأهواء الذين جعلوا الإمامة من أصول الدين، كالرافضة وغيرهم، ولما ترتب على هذا الأمر من قدحهم في الخلفاء الراشدين، وغلوهم في أئمتهم.

شروط الإمام:

١ـ الإسلام: لأن الكافر لا يراعي مصالح المسلمين الدينية والدنيوية.

٢ـ البلوغ: لأن الصبي لا يلي من أمر نفسه شيئا، فمن باب أولى لايلي من أمر غيره شيئا.

٣ـ العقل: لأن المجنون كالصبي.

٤ـ الحرية: لأن الرقيق مشغول بأمر سيده؛ ولأنه مستحقر في أعين الناس.

٥ـ عدم الفسق: لأن الفاسق لا يوثق به في أمره ونهيه، والمراد كونه عدلًا، ولو في الظاهر فقط.

ويجب على الأمة طاعة الإمام، ولكن في حدود الشرع، فإذا أمر بمحرم، أو مكروه لا تجب طاعته، وإذا أمر بمباح، وكان فيه مصلحة للمسلمين فتجب طاعته.

ما الذي يوجب خلعه؟ الذي يوجب خلعه كفره، أو أمره بكفر، أو أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين.

❊ ❊ ❊



(٢٣)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٣ـ وَأْمُرْ بِعُرْفٍ وَاجْتَنِبْ نَمِيمَهْ ❁ وَغِيبَةً، وَخَصْلَةً ذَمِيمَهْ

١٠٤ـ كَالْعُجْبِ، وَالْكِبْرِ، وَدَاءِ الْحَسَدِ ❁ وَكَالْمِرَاءِ وَالْجَدَلْ فَاعْتَمِدِ

١٠٥ـ وَكُنْ كَمَا كَانَ خِيَارُ الْخَلْقِ ❁ حَلِيفَ حِلْمٍ تَابِعًا لِلْحَقِّ

١٠٦ـ فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفْ ❁ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ

١٠٧ـ وَكُلُّ هَدْيٍ لِلْنَّبِيِّ قَدْ رَجَحْ ❁ فَمَا أُبِيحَ افْعَلْ وَدَعْ مَا لَمْ يُبَحْ

١٠٨ـ فَتَابِعِ الصَّالِحَ مِمَّنْ سَلَفَا ❁ وَجَانِبِ الْبِدْعَةَ مِمَّنْ خَلَفَا

المعروف هو: ما عرف الشرع خيره، وطلبه على سبيل الندب، أو الوجوب.

والمنكر هو: ما أنكره الشرع، ونهى عن فعله على سبيل الكراهة، أو التحريم.

دليل وجوبها: القرآن، والسنة، وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، وفي الحديث قال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[2]، ويُؤخذ من هذا الحديث أن مراتب الإنكار ثلاثة: أفضلها التغيير باليد، يليها التغيير بالقول، وأقلها التغيير بالقلب أي: الإنكار بالقلب، وأما الإجماع: فلأن المسلمين في الصدر الأول وبعده، كانوا يتواصون به، ويوبخون تاركه.

(١) سورة آل عمران. الآية:١٠٤.
(٢) أخرجه مسلم.

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ـ أن يكون القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عالمًا بما يأمر وينهى.

٢ـ أن يأمن أن لا يؤدّي إنكاره إلى منكر أكبر منه، كأن ينهى عن شرب الخمر، فيؤدي نهيه إلى القتل مثلاً.

٣ـ أن يغلب على الظن أن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر مؤثر.

ويندب الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه، أما الأمر بالواجب والنهي عن الحرام، فهو واجب وجوبًا كفائيًّا، والبعض قال عينيًّا، ويجب الأمر والنهي فور وقوع المخالفة وبمناسبتها.

التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل:

من الأمور التي يجب أن يتخلى عنها الإنسان النميمةُ، والغيبةُ، والعُجْبُ، والكِبْرُ، والحَسَدُ، والمِراءُ.

أولًا: النميمة: هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض، على وجه الإفساد بينهم.

قال النووي: هي إفشاء السر، وهتك العرض، ومن حُمِلت إليه نميمة، لزمه ستة أمور: أن لا يصدق النمام، وأن ينهاه عن ذلك، وأن يبغضه، وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء، وأن لا يحمله ما حُكِي له على التجسس، وأن لا يحكي النميمة عنه، كأن يقول فلان حكى لي كذا.

هذا وقد حرم الشارع النميمة؛ لما يترتب عليها من الفساد، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة نمام»[1].

وقد أجاز الشارع النميمة إذا دعت إليها الحاجة والمصلحة، كما إذا علمت شخصًا يريد البطش بآخر، فلا مانع من إخبار الآخر ليأخذ حِذْرَه.

ثانيًا: الغيبة: وهي ذكرك أخاك بما يكره، ولو كان فيه، أو حتى بحضوره، وفي الحديث، أنه ﷺ سُئِلَ «أرأيت إن كان في أخي ما ذكرت؟ قال إن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه»[2].

والغيبة: قد تكون بالكلام، كما هو ظاهر، وقد تكون بغيره، فقد تكون بإشارة، أو بتقليد، أو ما شابه، وكما تحرم الغيبة على المغتاب، كذلك يحرم على العبد سماعها، ويجب على السامع أن ينهى المغتاب.

والغيبة تباح في أحوال: للمصلحة مثل التظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، وكذلك التعريف، بمعنى أنه لا يُعْرف إلا بهذا الاسم مثلًا، كالأعمى والأصم وغيرها.

ولا بد من التوبة من الغيبة، فإذا علم من وقعت عليه الغيبة، فلا بد من عفوه، أما إذا لم يعلم فيكفي الاستغفار.

ثالثًا: العُجْب: وهو استعظام العبادة، كأن يُعْجَب العالِمُ بِعِلْمِهِ، أو العابد بعبادته.

وهو حرام، ومما يعين الإنسان على دفعه، أن يعلم أنه يفسد العمل.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) أخرجه مسلم.

رابعًا: الكِبْرُ: وهو بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس كما في الحديث، أما أن يكون الإنسان ثوبه حسنًا ونعله نظيفًا فهذا ليس من الكبر في شيء، ومن أدلة تحريمه قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة مَنْ في قلبه مثقال ذرة من كبر»[١].

خامسًا: الحسد: وهو تمني زوال النعمة عن الغير، أما إذا تمنى أن يكون له مثلها، فلا بأس به فهو غبطة.

ودليل تحريمه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٢]، وفي الحديث: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[٣].

دواء الحسد: معرفة الإنسان للوعيد المترتب عليه.

سادسًا: المراء: هو منازعة الغير فيما يدعي صوابه، ومحل كونه مذمومًا، إذا كان لتحقير غيرك، وإظهار مزيتك عليه، كما يقول ﷺ: (قد يكون أحدكم أَلْحَنُ بحُجَّته من صاحبه، فأقضي له، فمن قضيت له بشيء، فإنما قضيت له بقطعة من النار، فليأخذها، أو فليدعها)[٤].

التحلي بالفضائل:

وهذا من باب التحلية بعد التخلية، فإذا تخلى الإنسان عن أدرانه، فعليه بعد ذلك أن يستزيد من الخيرات، ويتأسى بخير الخلق أجمعين وبمن تبعه إلى يوم الدين.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة الفلق. الآية: ٥.
(٣) أخرجه أبو داود بسند ضعيف.
(٤) متفق عليه.



خاتمة المنظومة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

١٠٩ـ هذا وأرجو الله في الإخلاصِ ** مِـنَ الريـاءِ ثـم في الخـلاصِ

١١٠ـ مِـنَ الرجيمِ ثـم نَفْسِي والهَوَى ** فمـنْ يَمِـلْ لهـؤلاءِ قـد غَـوَى

١١١ـ هـذا وأرجـو اللـهَ أن يمنحنـا ** عنـد السـؤال مطلقـًا حُجَّتنـا

١١٢ـ ثـم الصَّـلاةُ والسـلامُ الدائـمْ ** عـلى نبـيٍّ دأبُـهُ المراحِـمْ

١١٣ـ محمـدٍ وصحبِـه وعترتِـه ** وتابـعٍ لنهجـه مِـنْ أُمَّتِـه

الرجاء هو: تعلق القلب بمرغوب فيه، مع الأخذ في الأسباب، وإلا فهو طمع مذموم وفي الحديث القدسي: «ما أقلَّ حياءَ من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على مَن بخِلَ بطاعتي»[(١)].

والإخلاص: قصدُ الله بالعبادة وحده، وهو سبب الخلاص من أهوال يوم القيامة، وهو واجب عيني على كل مكلف في جميع الطاعات، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[(٢)].

وقال ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وما ابتغي به وجهه»[(٣)].

(١) الخبر المذكور لم يرد في شيء من كتب السنة ولكنه ورد في بعض التفاسير كتفسير (الكشف والبيان للثعلبي) وتفسير (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي و(الكشاف) للزمخشري بصيغة: «وروي أن الله عز وجل أوحي إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كذا...» وذكر الخبر المذكور، انظر كتب التفاسير في سورة آل عمران آية ١٣٦.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) أخرجه النسائي في السنن، والطبراني في المعجم الأوسط.

والرياء: أن يعمل القربة ليراه الناس.

والتسميع: أن يعمل العمل وحده، ثم يخبر به الناس، لأجل تعظيمهم له، أو لجلب خير منهم.

وكل من الرياء والتسميع مُحبط للثواب مع صحة العمل.

وفى الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملًا أشرك فيه غيري، تركته وشركه»[1].

والرجيم: هو الشيطان المرجوم، أي المطرود من رحمة الله، أو الراجم للناس بوسوسته، والمراد: إبليس وأعوانه.

والمراد بالنفس: الأمَّارة بالسوء وهي التي تأمر بالسوء، ولا تأمر بالخير.

والهوى هو: ميل النفس إلى مرغوبها، ويستعمل غالبًا في ميل النفس عن الحق نحو: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾[2] وقد يستعمل في الميل للحق، كقول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: «لا أرى ربك إلا يُسَارع في هواك»[3].

وقوله: (عند السؤال مطلقًا) أي في الدنيا، وفي القبر، ويوم القيامة.

ثم ختم بالصلاة والسلام الدائمين على نبي الرحمة، وعلى صحبه، وعترته أي أهل بيته ونسله، ومن تبع سنته من أمته، صلوات الله وسلامه عليه.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم.
(٢) سورة ص. الآية: ٢٦.
(٣) أخرجه البخاري بلفظ: «ما أرى ربك...».

المناقشة

١ـ أوجب الشارع حفظ الكليات الخمس، فما هي؟ وما الحدود التي شرعها لمن يعتدي عليها؟

٢ـ ما المقصود بالمعلوم من الدين بالضرورة؟ وما حكم منكره؟

٣ـ قال صاحب الجوهرة:

فَلَيْسَ رُكْنًا يُعْتَقَدْ فِي الدِّينِ ❊ فَلَا تَزِغْ عَنْ أَمْرِهِ المُبِينِ

يشير البيت السابق إلى قضية الإمامة، فماذا تعرف عنها؟ وما شروط الإمام؟

٤ـ ينادى البعض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما ضوابط ذلك؟

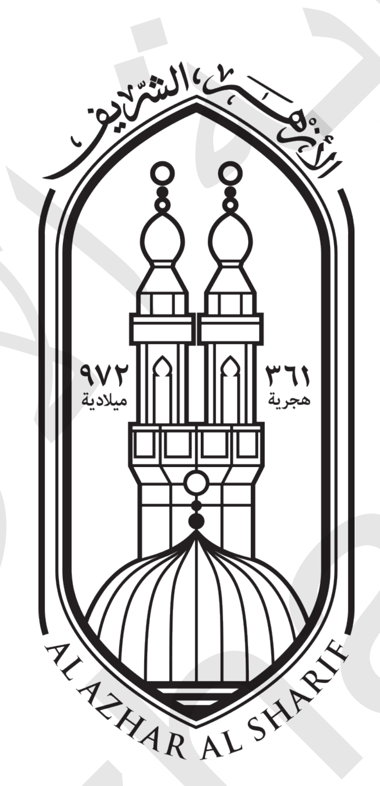
❊ ❊ ❊



قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

❊ ❊ ❊


الأزهر الشريف
٣٦١
هجرية
٩٧٢
ميلادية
AL AZHAR AL SHARIF